

المَمْلَكَةُ العَرَبِيَّةُ السُّعُودِيَّة
الرِّئَاسَةُ العَامَّةُ لِشُؤُونِ المَسْجِدِ الحَرَامِ وَالمَسْجِدِ النَّبَوِي
الإِدَارَةُ العَامَّةُ لِلتَّوْجِيهِ وَالإِرْشَادِ
وَحْدَةُ الأَمْنِ الفِكْرِيّ

سلسلة توجيهات من الحرمين الشريفين ١

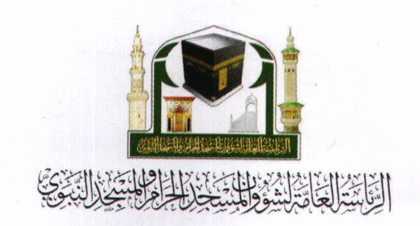


قضايا الأمن الفكري من منبر الحرم المكي

[مجموعة خطب لأئمة وخطباء المسجد الحرام]

- الطبعة الثانية -
مزيدة ومنقحة 1436هـ





المَمْلكةُ العَربيّةُ السُّعُوديّة
الرِّئاسَةُ العامّةُ لِشُؤونِ المَسْجِدِ الحرامِ والمَسْجِدِ النّبوي
الإدارَةُ العامّةُ للتّوجيهِ والإرْشاد
وحْدَةُ الأمْنِ الفِكريّ

سلسلة توجيهات من الحرمين الشريفين (١)



قضايا الأمن الفكري

من منبر الحرم المكي

[مجموعة خطب لأئمة وخطباء المسجد الحرام]

- الطبعة الثانية -
مزيدة ومنقحة 1436هـ



- الطبعة الثانية -

مزيدة ومنقحة 1436هـ



المملكة العربية السعودية - الرياض

المقر الرئيسي - الروضة - ت: ١١٢٣١٣٠١٨

ت: ١١٤٧٩٢٠٤٢ (٣ خطوط) - ف: ١١٢٣٢٢٠٩٦

الموقع الإلكتروني | **www.madaralwatan.com**

البريد الإلكتروني | pop@madaralwatan.com
madaralwatan@hotmail.com

شكر وعرفان

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعدُ:

لقد كان العمل على هذا الكتاب يفرضه واجبُ القيام بالدعوة إلى الله تعالى، والنصيحةُ الصادقةُ وفق الكتاب والسنة النبوية، وعلى منهاج السلف الصالح الذين أظهروا حُجَجَ الإسلام، ونشروا محاسنَه، ودفعوا عنه الشُّبهَ بالحجة والبرهان، وحذَّروا مما أُقحِم فيه مِن محدثات الأمور التي هي سبب كل بلاء وفتنة.

هذا وقد اجتهدنا في جمع هذه الخُطَب في سِفْر نافع، قد سمَّيناه: «**قضايا الأمن الفكري من منبر الحرم المكي**»، وقد قمنا مع الجَمْع والانتقاء؛ بتقريب الخطب في عناوين جانبية، والتعليق على مواضع يسيرة، وتخريج الأحاديث، وذكر بعض أحكام العلماء عليها.

نرجو من الله تعالى أن يكون **منارةً للهداية، وبيانًا لمسلك الاتباع، وتحذيرًا من طرفَي الإفراط والتفريط**. وننبه إلى أنه من باب التيسير على القارئ قد قمنا باختصار بعض خواتيم الخطب.

ونحمد الله تعالى على توفيقه وامتنانه وفضله؛ أن يسَّر لنا هذا العمل المبارك، ثم نحن مدينون لولاة الأمر - حفظهم الله تعالى - على الرعاية وفائق العناية، كما لا يفوتنا أن نتوجه بفائق الشكر والتقدير لمعالي الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، فضيلة الأستاذ الدكتور/ **عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس** على الاهتمام والدعم اللامحدود، وكذلك الشكر موصول لسائر المسؤولين في الرئاسة العامة على ما بذلوه من النصح والتوجيه، ولأصحاب المعالي والفضيلة خطباء المسجد الحرام على التجاوب والتعاون، ولعدد من الفضلاء الذين شاركوا في هذا العمل توجيهًا وتصويبًا ومراجعةً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وحدة الأمن الفكري
Email: sui1436@hotmail.com








الفهرس

المقدمة

معالي الشيخ الدكتور: عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس

الحمد لله الذي بسط علينا من آلائه إيمانًا وأمنًا، والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة ومنًّا، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا، أما بعدُ:

فإن عنوان تقدم الأمم وفخارها ومبعث أمنها وأمانها واستقرارها مرهون بسلامة عقول أفرادها ونزاهة أفكار أبنائها، ومن محاسن شريعتنا الغرّاء أنها جاءت بحفظ العقول والأفكار، وجعلت ذلك إحدى الضروريات الخمس التي قصدت إليها في تحقيق مصالح العباد في أمور المعاش والمعاد، قال الإمام الغزالي: «مقصود الشرع من الخلق خمسة، وهو أن يحفظ عليهم: دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم»[1].

فضمان سلامة فكر الإنسان من الانحراف والخروج عن الوسطية والاعتدال في فهمه وتصوره للأمور المحيطة به، مقصد مهم من مقاصد الشريعة الإسلامية؛ لذلك حرصت شريعتنا الغراء على تعزيز جانب الأمن الفكري لدى الفرد والمجتمع والأمة، وكان لها قَصَب السبقِ في ذلك عن طريق تحقيق وسائل متعدِّدة أسهمت في حمايته والحفاظ عليه من كل قرصنة فكريّة أو سَمسَرة ثقافية أو لوثات إرهابية أو تسلُّلات عولميّة، تهزُّ مبادئه وتخدِش قِيَمه وتمسّ ثوابته.

(١) المستصفى: (١٧٤).

وإن من قضايا العصر المؤرقة التي رمت الإنسانية بِشررٍ كالقصر، واصطلى بها العالم الإسلامي خاصة، ولا تزال تَجُرُّ عليه من الويلات والرزايا ما تَبْيَضُّ له نواصي الولدان، ذلك الغزو الفكري المتتابع، المصادم لشريعة الإسلام، والمضاد لهدي خير الأنام، لم تنشب آثاره تتأرجح بعقول بعض الشباب والناشئة، ومن يُغَرِّرُ بهم، ويَفْتِلُ لهم في الذِّروَة والغَارِب، وهم جميعًا في سَكْرَةِ آفة الإرهاب يَعْمهون، وفي حمأة الغلو والتطرف والتنطع يرتكسون، وفي براثن التكفير والتفجير والتدمير ينتكسون.

- **ومن أهم وسائل التصدي والقضاء على تلك الآفة المهلكة** - بإذن الله - تضافر الجهود المخلصة، والمشاركة المَنْهَجَة في **بناء الجيل الوسطي المعتدل، والمواطن المتوازن الصَّالح**، السّاعي إلى إعلاء شأن دينه وعقيدته وأُمَّته ووطنه وتعزيز جوانب الأمن الفكري.

وإنَّ ديار الحرمين الشريفين، وهي مُتَنَزَّل القرآن، وحِصْن الإيمان، ومولد سَيِّد ولد عدنان ﷺ ليست بمعزل عن هذا؛ ولكن - بحمد الله ومَنِّه - كانت لها الصدارة في طرائق التصدي والقضاء على هذه الظاهرة المحمومة، وذلك بما حباها الله من الإيمان الراسخ، وبما امتازت به من قيادة حكيمة رشيدة تحمل هَمَّ الدين والوطن والأمة، وتعمل على النهوض بها والحفاظ على عقول أبنائها، فمنذ عهد الإمام المؤسس رحمه الله وإلى هذا العهد الزاهر عهد خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز حفظه الله وهي تولي هذا الجانب العناية والرعاية والاهتمام.

وها نحن في الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، قيامًا بما أوجبه الله علينا من بيان الحق ونصرته، ودحر الإرهاب وزمرته، نُدْلي بِدَلْوِنَا في هذا المضمار الفسيح، من خلال إنشاء وحدةٍ للأمن الفكري تعنى بالاهتمام بهذا الجانب المهم، وتقوم بجمع الخطب المتعلقة بالأمن




الفكري، التي ألقيت من منبر الحرم المكي الشريف؛ إسهامًا في الحفاظ على الأمن الفكري، ومعالجةً للانحرافات والخلل في الأفكار والتصورات، والوقوف بحزم ضد تيارات الغلو والتطرف، وترسيخ منهج الوسطية والاعتدال، وتصحيح المفاهيم وضبط المصطلحات الشرعيّة وتنقيتها مما خالطها، والتحرر اللّامسئول، آملين أن تحقق هذه الوحدة الفكرية مشروعات علمية وبحثية كبرى، كموسوعة الأمن الفكري من الحرمين الشريفين.

والدعوة موجهة إلى كلِّ مَن بوأه الله للولاية واتخاذ القرار في أي ثغر من ثغور الأمة إلى الاضطلاع بمسؤولياتهم في ذلك، وكذلك أهل العلم والدعوة وحملة الأقلام ورجال الفكر والثقافة والإعلام، فلم يعد الأمر مسؤولية جهة أو مؤسسة بعينها، بل كلٌّ على ثغرٍ من ثغور الإسلام، لتعزيز الوحدة الإسلامية واللحمة الوطنية والتصدي لكل الحزبيات والنعرات والطائفيات والحرص على الاعتصام بالكتاب والسنة ولزوم منهج سلف هذه الأمة.

أسأل الله المولى سبحانه أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه، وأن يسدد خُطانا لما فيه عز الإسلام ونصرة المسلمين، وأن يحفظ بلادنا وبلاد المسلمين من عدوان المعتدين وحقد الحاقدين، وأن يوفق ولاة أمرنا إلى ما فيه الخير للبلاد والعباد، ويحفظ علينا عقيدتنا وقيادتنا وأمننا واستقرارنا ووحدتنا، إنه جواد كريم!

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

أ.د. عبدالرحمن بن عبدالعزيز السُّدَيس
إمام وخطيب المسجد الحرام
الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي




قضايا الأمن الفكري
من منبر الحرم المكي

تعظيم الدماء في الإسلام

الخطبة الأولى

سماحة الشيخ: محمد بن عبد الله السبيل

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمّا بعدُ: عبادَ الله، اتَّقوا اللهَ تعالى، اتَّقوا ربَّكم، اتَّقوا من يعلَم سِرَّكم وجهرَكم، اتَّقوه بفِعل الطاعات، والبُعد عن المحرَّمات.

تعظيم حقوق العباد

عبادَ الله، لقد عظَّم اللهُ تعالى حقوقَ العِباد، وشَدَّد في النهيِ عن الاستطالةِ على دمائِهم وأموالهم وأعراضِهم، فقال ﷺ في خُطبةِ الوداع محذِّرًا من ذلك: «فإنَّ دماءَكم وأموالَكم وأعراضَكم عليكم حرامٌ، كحرمة يومكم هذا، في بلَدِكم هذا، في شهرِكم هذا، وستَلقَون ربَّكم فيسألُكم عن أعمالكم، فلا ترجِعوا بعدي كفّارًا يضربُ بعضكم رقابَ بعض»[1].

جريمة قتل المؤمن بغير حق

إذا كان من أَعظم الأمور التي نهى الإسلامُ عنها وشدَّد النكيرَ على فاعِلها بعد الشِّرك بالله قتلُ النّفس المعصومة، فإنَّ هذا إفسادٌ في الأرض كبير، وهو أمر جلَل وجريمةٌ منكرةٌ شنيعة، حذَّر منها

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد رقم (٧٤٤٧)، ومسلم في كتاب القسامة رقم (١٦٧٩) عن أبي بكرة رضي الله عنه.

ربُّنا تعالى، وحذَّر منها نبيّنا، فقد قال سبحانه وتعالى في مُحكَم كتابه: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة:٣٢]، وتوعَّد بعظيم العذاب من قتلَ مؤمنًا، فقال ﷻ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، وقال المصطفى ﷺ: «لو أنَّ أهلَ السمواتِ والأرضِ اجتمعوا على قتلِ مسلمٍ لأكبَّهم اللهُ جميعًا على وجوههم في النار»[١]، بل حذَّر مِن مجرَّد الإعانة على القتل.

عبادَ الله، أين عقولُ من يدَّعون الإسلام؟! أين دينهم؟! أين خوفُهم من الله؟! ما هذا التساهُلُ في أمر الدماءِ والقتل؟!

كثرة القتل في آخر الزمان

أهانَ عليهم الأمر حتى صار بعضُهم يفتي نفسه بحِلِّ دماء الناس ثم يسفكها؟! ولقد أخبرنا الصادقُ المصدوق خبرًا يوجبُ الحذَرَ والخوف من الله، فقد جاء في الحديث عنه ﷺ أنه قال: «إنّ بين يدَي الساعةِ الهرجَ»، قالوا: وما الهرج؟ قال: «القتل، إنه ليس بقتلِكم المشركين، ولكن قتل بعضِكم بعضًا، حتى يقتل الرجلُ جارَه، ويقتل أخاه، ويقتل عمَّه، ويقتل ابن عمه». قالوا: ومعنا عقولُنا يومئذٍ يا رسول الله؟ قال: «إنه لتُنزَع عقول أهلِ ذلك الزمان، ويخلف لهم هباءٌ من النّاس يحسب أكثرهم أنهم على شيء، وليسوا على شيء»[٢].

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الديات رقم (١٣٩٨) عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما، وقال: «حديث غريب»، وحسنه ابن كثير في إرشاد الفقيه (٢/ ٢٥٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٢٤٣٨، ٢٤٤٢ - ٢٤٤٣).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٣٩١-٣٩٢، ٤٠٦، ٤١٤)، وابن ماجه في كتاب الفتن رقم (٣٩٥٩) وأبو يعلى (٧٢٤٧) من طرق عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٦٨٢).

فكيف يقدِم القاتِل على الفعل وهو يعلَم بشاعةَ جُرمه وفظاعةَ فِعله؟! فقد نَصَبَ له خصمًا يومَ القيامة، ففي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعتُ نبيَّكم ﷺ يقول: «**يجيء المقتولُ متعلِّقًا بالقاتل، تشخب أوداجُه دمًا، يقول: يا ربّ، سَل هذا فيم قتلني؟!**»[1].

أفلا يتذكَّر القاتلُ كم نَفس آذى وكم قَلب أَفزع ؟!

فهذان الوالِدان المكلومان عَصَر الألمُ قلبيهما، وأذاقهما كؤوسَ العَلقم والصبر، فحنى الحزنُ ظهرَيهما وهدَّ قِوامهما، وأطفالٌ صِغارٌ فقدوا عائلَهم، ومُربُّوهم ينشدون الرحمةَ في قلوب الناس، وربَّما تشتَّتت أحوالهم وتغيَّرت أخلاقُهم، فانظروا أيَّ حفرة أردَى القاتلُ فيها نفسه؟! وأيّ ورطةٍ تورَّط فيها؟!

يقول ابن عمر رضي الله عنهما: «إنَّ مِن ورطات الأمورِ التي لا مخرجَ لمن أوقع نفسَه فيها سفكَ الدم الحرام بغير حلّه»[2].

تحريم أنفس المُعاهَدين

عبادَ الله، لقد شدَّد الإسلامُ في أمرِ القتل وعظّمه، ولم يعصِم دمَ المسلم فحَسب، بل عَصَم دمَ المسلم وَالكافر؛ فحرّم الاعتداءَ على مَن أمَّنه المسلمون؛ لأنَّ المسلمين يدٌ واحدة، يسعى بذمَّتِهم أدناهم، فمن قَتل مَن أمَّنوه فقد خانهم واستحقّ عقابَ الله، وقد أخرج البخاريّ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**من قتل معاهَدًا لم يرَح رائحةَ الجنة، وإنَّ ريحَها ليوجد من مسيرةِ**

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٢٢، ٢٤٠، ٢٩٤، ٣٦٤)، والترمذي في كتاب التفسير رقم (٣٠٢٩)، والنسائي في كتاب تحريم الدم (٣٩٩٩، ٤٠٠٥)، وابن ماجه في كتاب الديات (٢٦٢١)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن»، وهو في السلسلة الصحيحة (٢٦٩٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الديات رقم (٦٨٦٣).

أربعين عامًا»[١]، قال ابن حجر رحمه الله: «والمرادُ به: مَن له عهدٌ مع المسلمين، سواء كان بعقدِ جزيةٍ أو هُدنة، مِن سُلطان أو أمانٍ من مسلم»[٢].

عبادَ الله، ما هذه السَّكْرة التي يعيشُها من روَّع المسلمين وخالف جماعتَهم وشذّ عن طريقهم؟! أفلا يتفكَّرون إلى أين يذهبون وما هم عامِلون؟!

اغترار الفئة الضالة

إنهم يتَّهمون العلَماءَ والمجتمعَ بالضَّلال، وأنهم هم الآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر في وقتٍ تخاذَل فيه الناس، فقاموا بسَفكِ الدماء وترويع الناس ظنًّا أنهم للإسلام ناصرون، وللحقِّ مظهِرون، وربما تمادوا حتى كفَّروا من كفَّروا، وجعلوا ذلك ذريعةً للقتل والتدميرِ والإفساد.

العصمة من الفتن

وهذه الفتنُ - عبادَ الله - ممّا حذّرنا منه نبيّنا غايةَ التحذير، وحفِظها عنه صحابتُه الكرام، ونقلها لنا الأئمةُ الأعلام وبيَّنوها لنا أتمَّ بيان، فقد ذكَر ما يحدُث بعدَه من الفتن، ودلَّنا على ما يُؤمِّننا منها، وما تَحْصُلُ لنا به الحمايةُ والسلامةُ من شرِّها، فقال ﷺ: «**أوصِيكم بتقوى الله والسمعِ والطاعة، وإن كان عبدًا حبشيًّا؛ فإنه من يعِش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنَّتي وسنةِ الخلفاء الراشدين المهديّين من بعدي، تمسَّكوا بها وعضُّوا عليها بالنواجذ، وإيّاكم ومحدثاتِ الأمور! فإنَّ كلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة**»[٣].

(١) صحيح البخاري: كتاب الجزية رقم (٣١٦٦).

(٢) فتح الباري (١٢/ ٢٥٩).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦-١٢٧)، وأبو داود في كتاب السنة رقم (٤٦٠٧)، والترمذي في كتاب العلم (٢٦٧٦)، وابن ماجه في المقدمة (٤٦)، والدارمي في مقدمة سننه (٩٥) عن العرباض بن سارية رضي الله عنه، قال الترمذي: «حديث حسن صحيح»، وصححه ابن حبان (١/ ١٧٩)، والحاكم (١/ ٩٥-٩٦)، ووافقه الذهبي، ونقل ابن رجب عن أبي نعيم أنه قال: «هو حديث جيد من صحيح حديث الشاميين» في جامع العلوم والحكم (٢/ ١٠٩).





فتـنـة الخـوارج

وإنَّ أوَّل الفِتن ظهورًا كانت في عهدِ صحابة رسول الله ﷺ، فخرج أُناسٌ كفَّروا أهلَ الإسلام من الصحابةِ والتابعين فقتلوهم وسفكوا دِماءهم، وقد أخبر ﷺ عنهم أنهم يخرُجون ويقتلون أهلَ الإسلام ويدَعون أهلَ الأوثان، فقد جاء في الحديث الذي أخرجه الشيخان: أنَّ رجلًا غائرَ العينين، مُشرفَ الوجنتين، ناشزَ الجبهة، كَثَّ اللِّحية، محلوقَ الرأس، مشمِّر الإزار، قال: يا رسولَ الله، اتَّق الله! قال: «ويلك! أوَلَستُ أحقَّ أهلِ الأرض أن يتّقيَ الله؟!» ثم ولَّى الرجلُ، فقال خالد بن الوليد: يا رسولَ الله، ألا أضربُ عنقه؟! قال: «لا، لعلّه أن يكونَ يصلِّي». فقال خالد: وكم من مُصلٍّ يقول بلسانه ما ليسَ في قلبه، فقال رسول الله ﷺ: «إني لم أومَر أن أنقِّبَ عن قلوبِ الناس، ولا أشقَّ بُطونهم»[1].

فاتّقوا الله عبادَ الله، وصلُّوا على النبيّ، إنّ الله سبحانه وتعالى يأمركم أن تصلُّوا على نبيّه عليه الصلاة والسلام، فصلُّوا عليه وسلِّموا تسليمًا.

(١) صحيح البخاري: كتاب المغازي رقم (٤٣٥١)، صحيح مسلم: كتاب الزكاة رقم (١٠٦٤) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه نحوه.

الخطبة الثانية

الحمد لله ذي الفضلِ العظيم والمنِّ الجسيم، أنعم على عبادِه بأصناف النِّعم، وحذَّرهم من أسباب النِّقم، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحدَه لا شريكَ له، وأشهد أنّ نبيَّنا محمّدًا عبده ورسوله، اللهمَّ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك، وعلى آله وصحبه.

أمّا بعد: فاتّقوا الله عبادَ الله، اتّقوه حقَّ تقاته ولا تموتنّ إلّا وأنتم مسلمون، واعلموا أنَّ تقواه سبحانه هي الحِصن الحصين الواقي من غوائلِ الفِتن والشّرور، وهي التي تيسِّر الطريقَ المستقيم، الذي ينجو من سلَكَه ويفوز من نَهَجَهُ.

حقوق الولاة على الرعية

عبادَ الله، إنَّ من توجيهات الله لعبادِهِ المؤمنين: السمعَ والطاعةَ لولاة الأمور، ومعاونَتهم على الحقِّ، وطاعتهم فيه، وتذكيرَهم وتنبيههم برفقٍ ولين، وحُبَّ الصلاح والرشد لهم، وحُبَّ اجتماع على الكلمة السواء، والتديّنَ بطاعتهم في طاعةِ الله سبحانه وتعالى، فقد قال ﷺ: «**من أطاعني فقد أطاعَ الله، ومن عصاني فقد عصَى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصَى أميري فقد عصاني، وإنما الإمامُ جُنَّة يتَّقى به**»[1]، وجاء في الحديث عن عبادةَ بن الصامت رضي الله عنه أنّه قال: بايعنا رسول الله على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وأثرة علينا[2].

فصلّوا وسلِّموا - عباد الله - على الرسول المصطفى والنبي المجتبى؛ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد رقم(٢٩٥٧)، ومسلم في كتاب الإمارة رقم(١٨٣٥، ١٨٤١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الفتن رقم(٧٠٥٦)، ومسلم في كتاب الإمارة رقم(١٧٠٩).

التنفير من خوض غمار فتنة التكفير

الخطبة الأولى

معالي الشيخ الدكتور: صالح بن عبد الله بن حميد

أمّا بعد: فأوصيكم - أيّها النّاس - ونفسي بتقوى الله ﷻ، فاتّقوا الله رحمكم الله، فلباس التّقوى جُنّة يتحصّن بها المتحصِّنون، وخشيةُ الله عروةٌ وثْقى يتمسّك بها المتمسِّكون، وأداءُ الفرائض واجتناب المحرّمات وسيلةٌ مُثْلى يتوسّل بها المتوسّلون.

مقصد جمع الكلمة

أيّها المسلمون، مَن تأمّل مقاصدَ الشّرع في العبادات والمعاملات والآدابِ والأخلاق والأوامِر والنّواهي؛ تبيّن له مقصدٌ كبير وغاية عُظمى، تلكم هي: جمعُ الكلِمة وغرسُ المحبّة وزرعُ الأُلفة ونشر المودّة بين أفرادِ الأمّة، والحثّ على التناصُر والتعاون، والبعدُ عن أسباب العداوة والبغضاء، وما يحمِل على الكراهة والشّحناء، وما يثير الأحقادَ وضَغائن القلوب، والتحذيرُ الشديد مِن الطّعن في المسلمين وعيبِهم، وهمزِهم ولمزِهم، وإبداء عوراتِهم وتتبُّع عثَراتِهم، والتّشهير بهم وإساءةِ الظّنّ بهم، والاتهام ببدعةٍ أو كفر أو فسوقٍ أو نفاق أو ظلمٍ أو جهل.

جمعُ الكلمَة - أيّها المسلمون - سبيلهُ إقامةُ شرع الله، وإظهار شعارِ الإسلام وشعائره، والتعاون على البرّ والتقوى، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، والنصحُ المشفق لكلّ مسلم. ولا تكون قوّة أهل الإسلام ونفاذ كلمتهم وشدّةُ منَعَتهم إلّا بتناصرهم وتآزُرهم.

أيها الإخوة في الله، إنَّ متغيِّراتِ العصرِ ومضلّات الفتَن وتكالبَ الأعداء وتداعيَ الأكَلَة؛ تدعو المسلم الغيورَ على أمّتِه النّاصح لإخوانه لأن يربأ بنفسه أن يكونَ مِعوَلًا في يدِ أعدائه مِن حيث يدري أو لا يدري، يقعُ في إخوانه المسلمين، فيَشتم هذا، ويشهِّر بهذا، ويتنقّصُ هذا، ويحتقِر هذا، ويكفِّر ويبدِّع، بل قد يسلَم منه الكافرُ والمشرك، ولا يسلم منه أخوه المسلم!

عبادَ الله، وهذه ـ حفظكم الله ـ وقفةٌ عِند فتنة خطيرةٍ، بدأت تُطِلّ برأسها في بعض المجتمعات والفئات، ينبغي أن يتنادَى أهلُ العِلم والإيمان والفضل والصّلاح والدّين والغيرة إلى مقاومتِها والتّحذير منها، حذّر منها السّلفُ رحمهم الله، وبيّنوا خطرَها وعوارها، **إنّها مسألة تكفير المسلمِ لأخيه المسلم**، والمجازفةُ بالحكم على المسلم بخروجه من ملّةِ الإسلام، وعدُّه مِن أهلِ الكفرِ والشّرك، والقطعُ والجزم بأنّه خالد مخلّدٌ في النّار عياذًا بالله، ولا حولَ ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم.

التحذير من فتنة التكفير

مسألةُ التّكفير من المسائل الكبار والقضايا العِظام، لها آثارُها العظيمة، فلا يحلّ لمسلم أن يقدِم عليها إلا ببرهانٍ عنده من الله، ودليلٍ هو في دلالته أوضحُ من الشّمس في رابعة النّهار.

لقد نبّه أهلُ العلم سلفًا وخلفًا على خطورةِ هذه المسألة، وعِظم شأنِها، وما يترتّب عليها من آثارٍ وتبِعات في الدّنيا والآخرة:

مسألة التكفير يترتب عليها آثار خطيرة في الدنيا والآخرة

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «اعلم أنّ مسائل التّكفير والتّفسيق هي من مسائلِ الأسماء والأحكام التي يتعلّق بها الوعدُ والوعيد في الدّار الآخرة، وتتعلّق بها الموالاة والمعاداة والقتل

والعصمةُ وغير ذلك في دار الدّنيا، فإنّ الله سبحانه أوجَب الجنّة للمؤمنين، وحرّم الجنّة على الكافرين، وهذه الأحكام الكلّية في كلّ وقت ومكان»[1].

عقوبة المُكَفِّر للمسلمين بغير حق

وقال ابن الوزير رحمه الله: «وكم بينَ إخراج عوامّ فِرَق الإسلام أجمَعين وجماهير العلماء المنتسِبين إلى الإسلام إخراجهم من الملّة الإسلاميّة وتكثير العدوّ بهم، وبين إدخالهم في الإسلام ونصرتِه بهم وتكثير أهلِه وتقوية أمره، فلا يحلّ الجُهد في التفرقَة بتكلّف التّكفير لهم بالأدلّة المعارَضة بما هو أقوى منها أو مثلها ممّا يجمَع الكلمةَ، ويقوّي الإسلامَ، ويحقِن الدماء، ويُسكّن الدّهماء»[2]، قال: «وقد عوقِبت الخوارجُ أشدَّ العقوبةِ وذُمَّت أقبحَ الذمّ على تكفيرهم لعصاة المسلمين، فلا يأمن المكفِّر أن يقعَ في مثل ذنبهم، وهذا خطرٌ في الدّين جليل، فينبغي شدّة الاحتراز فيه»[3].

إخراج رجل من الإسلام من أعظم أمور الدين

ويقول الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «وبالجملة فيجِب على مَن نصح نفسَه ألّا يتكلّمَ في هذه المسألة إلّا بعلمٍ وبرهانٍ مِن الله، وليحذَر من إخراج رجلٍ مِن الإسلام بمجرّد فهمِه واستحسانِ عقلِه، فإنّ إخراجَ رجلٍ من الإسلام مِن أعظمِ أمور الدّين»[4].

ويقول الإمام الشوكانيّ رحمه الله: «اعلَمْ أنّ الحكمَ على الرّجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ودخوله في الكفر لا ينبغي لمسلمٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقومَ عليه إلاّ ببرهان أوضحَ من شمس

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٦٨).

(٢) إيثار الحق: (٤٠٣) دار الكتب العلمية. ط٢. بيروت، ١٩٨٧م.

(٣) إيثار الحق على الخلق: (٤٠٣).

(٤) الدرر السنية: (٨/ ٢١٧).

إخراج المسلم من الإسلام لا يكون إلا ببرهان أوضح من الشمس

النّهار[1]، فإنّه قد ثبتَ في الأحاديث الصّحيحة المرويّة عن طريق جماعةٍ من الصّحابة رضوان الله عليهم عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**من قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدُهما**»[2]، وفي لفظ: «**من دعا رجلًا بالكفر أو قال: عدوّ الله، وليس كذلك إلا حارَ عليه**»[3]، أي: رجَع عليه، وفي حديث آخر: «**من رمَى مؤمِنًا بكفرٍ فهو كقتلِه**»[4].

خطر التكفير والوعيد عليه

ويقول ابن دقيق العيد رحمه الله معلِّقًا على هذه الأحاديث: «وهذا وعيد عظيمٌ لمن كفّر أحدًا من المسلمين وليسَ هو كذلك»، وقال: «وهي ورطة عظيمةٌ وقَع فيها خلقٌ من العلماء اختلفوا في العقائدِ، وحكَموا بكفرِ بعضهم بعضًا»[5].

التكفير حقّ لله تعالى

أيها المسلمون، الكفرُ حكمٌ شرعيّ، والكافر هو من كفّره الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم، فليس الكفرُ حقًّا لأحدٍ من النّاس، بل هو حقّ لله وحدَه، يوَضّح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله: «فلهذا كان أهلُ العلم والسنّة لا يكفّرون من خالفَهم وإن كان ذلك المخالف يكفِّرهم؛ لأنّ الكفرَ حكم شرعيّ، فليس للإنسان أن يعاقبَ بمثله، كمَن كذب عليك ليس لك أن تكذِب عليه؛ لأنّ الكذبَ حرام لحقّ الله تعالى، وكذلك التكفيرُ حقّ لله، فلا يكفَّر إلّا من كفّره الله ورسوله»[6].

(١) السيل الجرار: (٤/ ٥٧٨).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب (٦١٠٤)، ومسلم في الإيمان (٦٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب (٦٠٤٥)، ومسلم في الإيمان (٦١) واللفظ له من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري في الأدب (٦١٠٥) من حديث ثابت بن الضحاك رضي الله عنه.

(٥) إحكام الأحكام: (٤/ ٧٦).

(٦) الرد على البكري، ص (٢٥ – ٢٥٧).




قال: «والخوارجُ المارقون الذين أمَر النبيّ ﷺ بقتالهم، قاتلَهم عليّ رضي الله عنه وأئمّة الدّين من الصّحابة والتابعين، وقد ثبَت ضلالهم ـ أي: الخوارج ـ بالنصّ والإجماع، ولم يكفِّرهم أحدٌ من الأئمّة، وإنّما قاتلوهم لبغيِهم، فكيف بالطّوائف المختلفين الذين اشتبَـه عليهم الحقّ في مسائلَ غلِط فيها مَن هو أعلم منهم؟! فلا يحلّ لإحدى هذه الطوائف أن تكفِّر الأخرى، ولا تستحلَّ دمَها ولا مالها»(١).

موقف الإمام أحمد من تكفير أعيان الجهمية مع شدة ضلالهم

قال: «وتكفيرُ الجهميّة مشهور عند السلف، لكن ما كانوا يكفِّرون أعيانَهم، فإنّ الذي يدعو إلى القول أعظمُ من الذي يقول به، والذي يعاقِب مخالفَه أعظمُ من الذي يدعو، والذي يكفِّر مخالفه أعظمُ من الذي يعاقِبه، ومع هذا فالذين كانوا من ولاة الأمور يقولون بقول الجهمية: إنّ القرآنَ مخلوق وإنّ الله لا يُرى في الآخرة ويدعون الناسَ إلى ذلك ويمتحِنونهم ويعاقبونهم إذا لم يجيبوهم ويكفِّرون مَن لم يجِبهم، مع هذا كلِّه ترحّم عليهم الإمام أحمد واستغفر لهم لعلمه بأنه لم يَبِن لهم أنّهم مكذِّبون لرسول الله ﷺ، لكن تأوّلوا فأخطؤوا وقلّدوا من قال ذلك»(٢).

بل قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إنّ الإمامَ أحمد صلّى خلفَ الجهميّة الذين دعَوا إلى قولهم وامتحَنوا النّاس وعاقبوا مَن لم يوافِقهم بالعقوبات الغليظة، لم يكفّرهم أحمد وأمثالُه، بل كان يعتقد إيمانَهم وإمامتهم، ويدعو لهم، ويرى الائتمامَ بهم، والصلاةَ خلفهم، والحجّ والغزوَ معهم، والمنعَ من الخروج عليهم، ما يراه هو وأمثاله من الأئمّة، وينكرون ما أحدثوا من القولِ الباطل الذي هو كفرٌ

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٨٢-٢٨٣) بتصرف.

(٢) مجموع الفتاوى (٢٣/ ٣٤٨-٣٤٩).

الجمع بين إنكار المنكر بحسب الإمكان ورعاية حقوق المؤمنين

عظيم وإن لم يعلموا هم أنّه كفر، وكان ينكِره ويجاهِدهم على ردّه بحسَب الإمكان، فيجمَع بين طاعة الله ورسوله في إظهار السنّة والدّين وإنكار بدعِ الجهميّة الملحدين، وبين رِعاية حقوقِ المؤمنين من الأئمّة والأمّة وإن كانوا جهّالًا مبتدعين وظلمةً فاسقين» انتهى كلامه رحمه الله[1].

مفاسد التكفير بغير علم وبرهان

وبعد: أيّها المسلمون، ففي مسألة التّكفير زلَّت أقدامٌ ما كان لها أن تزلّ، وضلّت أفهام ما كان لها أن تضلّ، وخاضت ألسنةٌ وأقلام بغير علمٍ ولا برهان، فينبغي الحذرُ من ذلك كلِّه، والسّلامة لا يعدِلها شيء، كما ينبغي الحرصُ على جمعِ كلمة المسلمين على الحق، فحين تحصل الفرقة والنفرةُ وشتات الكلمةِ، يستبدّ كلُّ ذي رأي برأيه، ويدّعي كلُّ الكمالَ لنفسه، ويُعجِب كلَّ سالكٍ مَسْلكُه، ويحصُر الحقّ والغَيرة في نفسه وفئتِه، فيحتقرُ إخوانَه، ويزدري مسلكَهم، ويثير الغبارَ من حولِهم، وحينئذٍ تتنافر القلوب، ويقع التهاجرُ والتقاطع، وتضعف الدّعوة إلى الله، وتقلّ منفعةُ العِلم، ولا يقع القبول والتّوجيه والإرشاد، ويتغلغل الأعداء، ولعمرو الله! إنّ هذه لهي بُغية الأعداء، فلا حولَ ولا قوّة إلا بالله.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾ [النساء: ٩٤].

نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم وبهدي محمّد ﷺ، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كلّ ذنب وخطيئة، فاستغفروه؛ إنّه هو الغفور الرحيم.

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٥٠٧-٥٠٨) بتصرف.

الخطبة الثانية

الحمد لله فالقِ الإصباح، أحمدُه سبحانه وأشكره على نعمٍ تتوالى وتتجدّد في المساء وفي الصباح، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريكَ له، وأشهد أنّ سيّدنا ونبيّنا محمّدًا عبد الله ورسوله، أغنى نورُ رسالته عن كلِّ مصباح، صلّى الله وسلّم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتّابعين، ومن تبِعهم بإحسان فسلك سبيلَ الفلاح.

أمّا بعد: أيها المسلمون، عندما تتقرَّر خطورةُ التّكفير وعِظمُ شأنه وشدّةُ القول فيه، فإنّ ذلك لا يعني التساهلَ، وتمييعَ القضايا، وإغلاقَ بابِ الردّة - عياذًا بالله -، والحكمَ بالإيمان لمن ظهَر كفرُه بالدليل والبرهان وانشرَح صدرُه بالكفر والطّغيان، ولكن المقصود بيانُ خطرِ المسألة، والحذر من الجرأةِ في اقتحام أبوابِها، حتّى قال بعض أهل العلم: إنّك لو متَّ ولم تقُلْ في فِرعونَ شيئًا لم يؤاخِذك الله بذلك يومَ القيامة.

لا بد في التكفير من تحقيق الشروط وانتفاء الموانع

فالتكفير ـ رحمكم الله ـ عندَ أهلِ العلم خطير، له شروطٌ وموانع بيّنها أهل العلم، فقد يكون الرّجل لم تبلُغه النصوصُ الموجبة لمعرفة الحقّ، وقد تكون لديه ولكنّها لم تثبُت عنده أو لم يتمكّن من فهمها، وقد تعرضُ له شبهاتٌ يعذُره الله بها.

العذر في المسائل النظرية أو العملية

فمَن كان من المؤمنين مجتهدًا في طلبِ الحقّ وأخطأ فإنّ الله يغفِر له خطأه كائنًا من كان، سواء من المسائل النظريّة أو العمليّة، هذا الذي عليه أصحابُ رسول الله ﷺ وجماهير أئمّة الإسلام، وأهلُ

العلم قد يحكمون على الأمر بأنّه كفر، ولا يحكمون بأنّ كلَّ من وقع فيه خارجٌ من الملّة؛ لأنّ شرطَ ذلك ألَّا يكونَ له عذرٌ مقبول.

ألا فاتّقوا الله رحمكم الله، واحفَظوا ألسنتكم، ولا يستجرِيَنّكم الشيطان، واجتمِعوا على الحقّ، ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

ثم صلّوا وسلّموا على نبيّ الرّحمة والهدى.

●○●○●

الغلو والإرهاب

الخطبة الأولى

معالي الشيخ الدكتور: صالح بن عبد الله بن حميد

أمّا بعد: فأوصيكم - أيّها الناس - ونفسي بتقوى الله ﷻ، فاتقوا الله رحمكم الله، فإنَّ من تورّع واتّقى فقد ارتقَى من مقاعدِ الصّدق أعلى مُرتَقى، وبالتقوى يتّقي العبدُ آثار البلوى، ﴿وَٱلْأٓخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [النساء: ٧٧]. نافسوا عَلَى معالي الرُّتَب، وغالبوا أهواءَ النفوس، فالفوز لمن غلَب، ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٤-٧].

فضل بلاد الحرمين الشريفين وحسد الأعداء لها

أيّها المسلمون، هذه البلادُ - بلاد الحرمين الشريفين: المملكة العربية السعودية - هي بحمد الله ومنّته مأرِز الإسلام ومنبَع الدعوة إلى الله وأمانُ الخائفين وعونُ المستضعفين، يدٌ حانية تداوي جراحَ المسلمين، تنطلق منها أعمالُ الإحسان وأنواع البرّ، هي بفضل الله مصدَر الخير بأنواعه.

ولـمّا تبيّن صحّة تديُّنها وصدقُ فِعالها وثمار أعمالها وقوّة رجالها وصلابةُ مواقف ولاةِ الأمر فيها؛ وجّه إليها الأعداءُ السِّهام، يريدون تقويضَ خيامِها والعبثَ بأمنها ونهبَ خيراتها، فكالوا لها التُّهَم جزافًا، يريدون منها أن تُغيّر أو تبدِّل أو تحيد، وهيهات هيهات!

لا يُقال ذلك عاطفةً أو مجاملةً، حاشا وكلاّ، ولكن يقينًا وتحقيقًا ونظرًا في الآثار والسُّنن، إنّ من يصل الرحِمَ، ويحمل الكلَّ، ويُكسِب المعدوم، ويقري الضيفَ، ويعين على نوائبِ الحقّ، لا يخزيه الله

أبدًا، ومن كثُرت حسناته حسُنَت بإذن الله عاقبتُه وسلَّمه ربُّه في دنياه وآخرته وحفظه في دينه وأهله، فنحن بإذن الله مطمئنّون بحسن العاقبة، ولن يضرّنا كيدُ الأعداء، ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

جريمة الاعتداء على رجال الأمن

وإنّ ما حدَث هذه الأيام من اعتداءاتٍ على إخواننا رجالِ الأمن اعتداءٌ آثِم، وفعل طائش، وإجرام صارخ يصُبُّ في هذا السلكِ الضالّ.

إنه اعتداءٌ وعدوان وقتل وترويع وإشاعَة للفوضى من أجل اختلاطِ الحابل بالنابل والتدمير والتخريبِ، وإنه إزهاقٌ لنفوس محرّمةٍ وسفكٌ لدماء معصومة، إنّه مسلكٌ رخيص فاضح، شذوذ وعدوان وإجرام، دافعُه استبطان أفكارٍ مضلِّلة وآراء شاذّة ومبادئ منحرفة، في خطواتٍ تائهة ومفاهيم مغلوطة.

أيّ قبولٍ لناشري الفوضى ومُهدِري الحقوق ومرخِصي النفوس؟! ولقد جمع هؤلاء ـ عياذًا بالله ـ بين قتل النفوس المحرّمة وقتل أنفسِهم، وقد قال الله عز وجل في محكم تنزيله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ٢٩ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ٢٩ – ٣٠]، وقال عزّ شأنه: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، وفي الحديث الصحيح عنه ﷺ: «لا يزال المرءُ في فسحةٍ من دينه ما

لم يُصِب دمًا حرامًا»[١]، ويقول عليه الصّلاة والسّلام: **«لزوالُ الدّنيا أهونُ عند الله من قتلِ رجلٍ مسلم»** أخرجه النسائي والترمذي[٢].

مظاهر الإفساد في الأرض وأضراره

مفاسدُ عظيمة، وشرور كثيرة، وإفسادٌ في الأرض، وترويع للمؤمنين والآمنين، ونقضٌ للعهود، وتجاوزٌ على إمام المسلمين! جرائمُ نكراء، في طيِّها منكرات، أعمالٌ سيّئة شِرّيرة، تثير الفتنَ، وتولِّد التحزّبَ، تدمير للطّاقات، وتشتيت للجهود، أعمالٌ تهدِّد المكتسَبات، وتؤخِّر مسيرةَ الإصلاح، وتخذل الدعوةَ والدعاة، وتفتح أبوابَ الشرّ أمام ألوانٍ من الصّراعات، بل ربّما هيّأت فرَصًا للتّدخّلات الأجنبيّة، فلا حول ولا قوّة إلّا بالله.

تجريم الأعمال التخريبية

إنّ الموقفَ الصّريحَ الذي لا لبسَ فيه ولا يُختَلَف عليه إنكارُ هذا العملِ الشنيع واستنكاره ورفضُه وتجريمه وتحريمه، ولْيحذَر مَن أرادَ الخيرَ لنفسه من عمَى البصيرة وتزيين الشيطان، فيرى الحقَّ باطلًا، والباطل حقًّا عياذًا بالله.

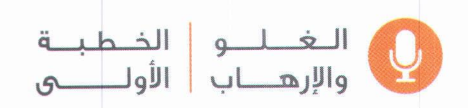
إنّ مِن المعلوم أنَّ الخوارجَ كانوا أهلَ عبادةٍ، وفيهم مظاهرُ الصّلاحِ وإظهارٌ لبعض الشّعائِر كما في الحديث: **«تحقِرون صلاتكم عند صلاتهم، يقرؤون القرآنَ لا يجاوِز حناجرَهم»**[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الديات (٦٨٦٢)، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) سنن النسائي: كتاب المحاربين (٣٩٢٢)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، والترمذي: كتاب الديات رقم (١٣١٥)، وأشار إلى أن وقفه أصح من رفعه، وكذا رجّح وقفه البيهقي في الكبرى (٨/ ٢٢)، ورمز له السيوطي بالصحة، وصححه الألباني في غاية المرام (٤٣٩) وصحيح الترغيب حديث رقم (٢٤٣٩).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن رقم(٥٠٥٨)، ومسلم في كتاب الزكاة رقم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.



جرائم الخوارج

هؤلاء الخوارجُ الشاذّون ظهَروا في خيرِ القرونِ وأفضلِها، في عهدِ صحابة نبيّنا محمّد ﷺ، فوصَل بهم الحال إلى أن حاربوا الصّحابةَ والمسلمين، بل قتلوا الخليفتَين الرّاشدَين عثمانَ وعليًّا رضي الله عنهما، ألا يكفي زَيفًا وضلالًا أن يُجهِّل الخوارج صحابةَ رسول الله ﷺ ويكفِّروهم ويحاربوهم؟!

لقد كان عند الخوارجِ شيءٌ مِن حماسٍ و نوعٍ مِن إخلاص، لكن لم يكُن عندَهم عِلمٌ صحيح ولا فِقهٌ سليم، حارَبوا الصحابَةَ، وقَتلوا الخلفاءَ، زاعمين أنَّ هذا هو طريقُ الإصلاح.

أسباب انحراف الخارجين على الأمة

أيّها المسلمون، إنّ مِن أعظمِ أسباب انحرافِ هؤلاء: الجهلَ والعزلةَ عن المجتمع، وعدمَ أخذِ العلم من أهلِه، وغفلةَ الأسرة، وإنّ في بعضِهم إعجابًا بالنّفس كبيرًا، وهذه كلُّها من الصوارِف عن الحقّ والفِقهِ وأخذِ العلم من أهله وأبوابه.

معاشرَ المسلمين، وثمّةَ سببٌ في الانحرافِ كبير، ذالكم هو الوقوعُ في دائِرة الغلو.

خطر الغلو

إنّ الغلوّ في دين الله هو ـ والله ـ سببُ الهلاك، فلقد قال عليه الصلاة والسلام: «**إيّاكم والغُلوّ، فإنّما أهلك من كان قبلكم الغلوّ**»[1].

الغلوّ مشاقّةٌ حقيقيّة لهديِ الإسلام، وإعراضٌ عن منهجِه في الوسطيّة والاعتدال والرّحمة واليُسر والرِّفق.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢١٥)، والنسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وابن الجارود (٤٧٣)، والضياء في المختارة (١٠/ ٣٠-٣١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه ابن خزيمة (٤/ ٢٧٤)، وابن حبان (٣٨٧١)، والحاكم (١/ ٤٦٦)، ووافقه الذهبي، وقال ابن تيمية في الاقتضاء (ص١٠٦): «وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم».

ملامح الغلو وآثاره المدمرة

الغلوّ ظلمٌ للنّفس وظلمٌ للنّاس، بل هو صدّ عن سبيل الله لِما يورِثه من تشويه وفتنةٍ وتنفير، الغلاةُ يتعصّبون لجماعتِهم، ويجعلونَها مصدرَ الحقّ، ويغلُون في قادتِهم ورؤسائِهم، ويتبرّؤون مِن مجتمعاتِ المسلمين، ويكفّرون بالمعَاصي، ويكفّرون أهلَ الإسلام وحكّامَ المسلمين، ويقولون بالخروج على أئمّة المسلمين، ويعتزلون مجتمعاتِ المسلمين، ويتبرّؤون منهم، لا يصلّون خلفَ أئمّة المسلمين في مساجدِ المسلمين، لقد وصفهم نبيّنا محمّد ﷺ بوصفَين ظاهرين خطيرَين في قوله عليه الصلاة والسلام: «يقرؤون القرآنَ لا يجاوِز حناجرَهم، يقتُلون أهلَ الإسلام ويدَعون أهلَ الأوثان» أخرجه البخاري ومسلم[1].

وصفان ظاهران للخوارج

- **الوصفُ الأوّل:** يقرؤون القرآن ولا يفقهونَه ولا يدرِكون مقاصدَه، يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «إنّهم انطلَقوا إلى آياتٍ نزلت في الكفّار، فجعلوها على المؤمنين»[2].

- **الوصف الثاني:** استحلالُ دماءِ المسلمين: «يقتلون أهلَ الإسلام، ويدَعون أهلَ الأوثان»، يقول شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إنّهم يكفِّرون بالذّنب والسيّئات، ويترتّب على تكفيرهم بالذّنوب استحلالُ دماءِ المسلمين وأموالِهم، وأنّ دارَ الإسلامِ دارُ كفر، ودارهم هي دار الإسلام»[3].

(١) صحيح البخاري: كتاب التوحيد رقم(٧٤٣٢)، صحيح مسلم: كتاب الزكاة رقم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) علّقه البخاري بصيغة الجزم في كتاب استتابة المرتدين، باب: قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم، قال الحافظ في الفتح (١٢/ ٢٨٦): «وصله الطبري في مسند علي من تهذيب الآثار... وسنده صحيح».

(٣) مجموع الفتاوى (١٩/ ٧٣).

ولقد قال أبو قلابة: «ما ابتدَعَ رجلٌ بدعةً إلاَّ استحلَّ السيف»[١]، فلا حول ولا قوّة إلا بالله، يجمعون بين الجهل بدين الله وظلم عبادِ الله، وبِئستِ الطّامّتان الدّاهيتان!

مآل الغلاة

إنّ مصيرَ الغلاة هو الهلاك بنصّ حديث رسول الله ﷺ: **«هلك المتنطّعون، هلك المتنطّعون، هلك المتنطِّعون!»**[٢].

مفاسد الغلو

أيّها المسلمون، إنّ مسالكَ الغلوّ وأساليب العُنف من تفجير وتدمير وسطوٍ ونسف وسفكٍ للدماء لا تهزم القيَم الكبيرةَ، ولا تقوّض المنجزاتِ السامِقة، لا تحرِّر شعبًا، ولا تفرِض مذهبًا، ولا تنصُر حِزبًا.

إنّ العنفَ والإرهاب وسفكَ الدماء لا يمكِن أن يكونَ قانونًا محترَمًا أو مسلكًا مقبولًا، فضلًا عن أن يكونَ عقيدةً أو دينًا، الغلوّ والعنفُ والإرهاب لا يحمِل غيرَ التخريب والإفساد، الغلوّ والعنف لم يفلح في أيّ مكانٍ من العالم في تحقيق أهدافه، بل إنّه يقضي على أصحابه، الغلوّ والإرهاب لن يغيِّر سياسة، ولن يكسبَ تعاطفًا، بل يؤكِّد الطبيعةَ العدوانيّة والروحَ الدمويّة لتوجّهات أصحابه الفكريّة، والمشاعر والعقول كلُّها تلتقي على استنكاره ورفضِه والبراءةِ منه ومن أصحابه، ومن ثَمَّ فإنّه يبقى علامةَ شذوذٍ ودليلَ انفراد وانعزالية.

---

(١) رواه الدارمي في مقدمة سننه (٩٩)، وقال محقق الكتاب الشيخ حسين سليم الداراني: إسنادُه صحيح.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب العلم (٢٦٧٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وقوف الأمة ضد الغلاة والمفسدين

ومن أجل هذا فإنّ الناظرَ والمتأمِّل ليقدِّر هذه الوقفةَ الواحدةَ التي وقفتها الأمّةُ ضدّ هذا التصرّف المشين والعملِ الإجراميّ الآثم، لقد وقفت الأمّة صفًّا واحدًا خلفَ قيادتها وولاةِ أمرها تستنكِر هذا العملَ وتدينه ولا تقبَل فيه أيَّ مسوِّغ أو مبرِّر، وتتبرّأ من فاعلِيه، والأمّة مؤمنةٌ بربّها، مستمسكة بدينها، مجتمِعة حولَ ولاةِ أمرها، محافظةٌ على مكتسباتها، وكلّنا بإذن الله حرّاسٌ للعقيدة، حماةٌ للدّيار، غيارَى على الدين، غَيارَى على الحرمات، فيجِب على من اطَّلع على أنّ أحدًا يُعِدّ لأعمالٍ إجرامية أو تخريبيّة أن يبلِّغَ عنه، ولا يجوز التستُّر عليه.

ثبات بلاد الحرمين في وجه الفتن

إنّ هذه البلاد لن تهتزَّ - بإذن الله - من أيِّ نوعٍ من أنواع التهديد أو الابتزاز الذي يحاول النيلَ من ثوابتِها الإسلاميّة وسياستِها وسيادتها، وإنّ الأمّةَ والدولةَ واثقة من خَطوِها ثابتة على نهجِها في شجاعةٍ وصَبرٍ وحِلم وتوازُن وبُعدٍ في النّظر والرّؤية.

أيها المسلمون، إنّ كيانَ هذه الدّولة قام واستقام على قواعدَ ثابتةٍ وأصولٍ راسخة من الدين والخِبرة والعِلم والعمَل، جهودٌ جبّارة في التأسيس والبناء لا يمكِن هزّها، فضلا عن تقويضها بمثلِ هذه التصرّفاتِ غيرِ المسؤولة.

توازن منهج الدولة واختلال الغلو

إنّ كيانَ الدولة يعكِس نهجَ أهله في الجمع بين المحافظةِ على دين الله في عقائدِه وشعائره، مع مسيرة التطوير والتحديث المشروعة في التّعليم والاقتصادِ والاجتماعِ والتّخطيط وصنع القَرار.

إنّ دولةً هذا شأنُها وهذهِ خصائصُها، لا يصلُح لها ولا يناسِبها الخلطُ بين الإسلام الحقّ وبين الانحرافِ باسم الإسلام، كما لا تقبَل أن يُضربَ الإسلام أ ويُنتقصَ بحجّة وجودِ بعض الغلاة.

إنّ منهجَها وقفُ السلوكِ الشاذّ ليبقى الإسلام الحقُّ الأقوَم، وهذه الأحداثُ تبقى في دائرة شذوذِها، وليطمئنّ أهل البلاد والمقيمون على أنفسِهم وأهليهم وأموالهم وحقوقِهم.

وأهلُ هذه البلادِ وكلّ محبٍّ لها يتطلّع إلى المزيدِ من الاستمساك بدين الله والمزيد من الدّعم للدين وأهلِه، والعلم الشرعيّ ورجاله، والحِسبة وأهلها، وكلّ عاملٍ مخلص من أيّ موقعٍ وفي أيّ مِرفق في شأن المجتمع كلِّه.

وبعد: أيّها المسلمون، فإنّ المسؤوليةَ عظيمة، والجميع في سفينةٍ واحدَة، ومَن خرقها أغرقَ الكل.

المسؤولية عامة والجميع مشارك في تحملها

إنّ التهاونَ والتّساهلَ يؤدِّي إلى انفلاتٍ وفوضى، وإنّ الإحساسَ الجادَّ بالمسؤوليّة وخطر النتائج هو الذي يحمِل كلَّ عاقلٍ وكلّ مخلص على رفضِ هذه الأعمال، وعدم قبول أيّ مسوّغ لها ولزوم فضح أهلها وآثارها ونتائجها. ولْيحذرِ المسلم أن يصدرَ منه شيءٌ يثير الفتنة، أو يسوِّغَ لهؤلاء وأمثالِهم ضلالَهم وجَهلهم وإجرامَهم.

ومع يقين المؤمِن بأنّ الله حافظٌ دينَه ومُعلٍ كلمتَه، وجاعلٌ كيدَ الكائدين في تضليل إلّا أنّ المسؤوليةَ عظيمة، فلابدّ من الوقفةِ الصّادقةِ من أجلِ وضعِ الأشياء في مواضعها والأسماء في مسمّياتها، فالإسلام إسلام، والإجرامُ إجرام، والإصلاحُ غيرُ الفساد، وإيذاءُ المؤمنين وسفك دماء المسلمين غيرُ الجهاد المشروع.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴾ [البقرة:٢٠٤-٢٠٥].



الخطبة الثانية

الحمدُ لله، أنار بنورِ هدايته قلوب أهل السعادة، فهي لربها طائعة منقادة، أحمده سبحانه وأشكره وقد تأذن للشاكرين بالزيادة، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادة الحقِّ والتوحيد واليقين- أعظم شهادة-، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبد الله ورسوله، ذو الشرف الأسنى والكمال والسيادة، صلى الله وسلّم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، والتقرّبُ إليه بحبّهم عقيدة وعبادة، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلّم تسليمًا كثيرًا.

ثبات رجال الأمن و استبسالهم

أما بعد: أيها المسلمون، إن هذه الاعتداءَات الآثمة والأفعال الطائشة والتصرّفاتِ الإجرامية لن تثني إخواننا رجالَ الأمن عن مواصلة استبسالهم في أداء واجبهم ومواقفهم البطولية المشهودة، في إخلاصٍ وتفانٍ وإتقان وكفاءةٍ؛ لأنهم مطمئنون أنهم على الحقّ والهدى بإذن الله، بأعمالهم ويقظتهم تبقى هذه البلاد عزيزةً محفوظة رافعةً منار الدين وراعية الإسلام بتوفيق الله وفضله ومنِّه.

إنهم مصدر الفخر والاعتزاز، بل هم بإذن الله صمّام الأمان في حماية دار الإسلام، بلاد الحرمين الشريفين ومهد مقدّسات المسلمين، إنهم بفضل الله وتوفيقه حماةُ الدين وحماة مهبط الوحي، وسيظلون تاج الرؤوس ومصدرَ طمأنينة النفوس.

أيّها المسلمون، إن مسؤولية مواجهة هؤلاء الضالين ليست على رجال الأمن وحدهم، ولكنها مسؤولية الجميع، كلٌّ حسب موقعه.

الإحساس بخطر الفرقة والفوضى

إن الإحساسَ بالخطر على الدين والأهل والديار والفرقة والفوضى، هو الأمر الذي يجب أن يستشعره الجميع؛ ليكونوا أكثر يقظةً وحذرًا ونباهةً، ولتكون التصرّفات أكثر وعيًا وحِكمة لما يُحاك ضدّ هذه الأمة ودينها وأهلها وأمنها وولاة الأمر فيها.

وبعدُ، فعلى الرغم ممّا ينبغي من يقظة وحذر فليهنأ المسلمون في هذه البلاد ـ مواطنين ومقيمين ـ بدينهم وأمنهم، ولتهنأ الدولة - حفظها الله - برجالها الفضلاء وجنودها البواسل المخلصين، ولتطمئن الأمة بإذن الله إلى وعي ولاة الأمور ويقظتهم في مواقف لا يُقبَل فيها إلا القوّة الحزم.

نعمة جمع الكلمة على الحق

فالحمد لله ثم الحمد لله على نعمِه التي لا تُحصَى: جمع كلمتنا على الحق، وأسبغ علينا نعمه ظاهرةً وباطنةً، جمعنا على إمام واحد ودين واحد وبلدٍ واحد، فنسأله سبحانه أن يزيدنا أمنًا واستقرارًا ونعمةً وفضلًا وصلاحًا وفلاحًا، وأن يردَّ كيدَ الحاقدين، ومكر الماكرين على بلادنا وأئمتنا وولاة أمورنا وعلمائنا وأهلينا، كما نسأله سبحانه أن يمُدّ الساهرين على أمتنا وراحتنا بعونه وتوفيقه، وأن يسدِّد آراءهم وخُططهم، ويبارك في أعمالهم وجهودهم، ويربطَ على قلوبهم، ويكشف لهم كلَّ غامض، وأن ينصرهم على كلّ مفسد ومخرِّب ومحارب، إنه سميع مجيب!

أَلَا وصلّوا وسلّموا على نبيّ الرحمة والملحمة، النبي المصطفى والرسول المجتبى، فقد أمركم بذلك المولى جلّ وعلا فقال في محكم تنزيله وهو الصادق في قيله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

نابتة العصر

الخطبة الأولى

معالي الشيخ الدكتور: صالح بن عبد الله بن حميد

أمّا بعد: فأوصيكم - أيّها الناس - ونفسي بتقوى الله ﷻ، فاتقوا الله رحمكم الله.

كيفَ يأنسُ بالدّنيا مفارقُها؟! وكيف يأمَن النارَ واردُها؟! وأين الحزمُ والمبادرة ممّن يومُه يهدِم شهرَه، وشهرُه يهدِم سنتَه، وسنتُه تهدِم عُمرَه؟! العمرُ يقود إلى الأجَل، والحياة تقود إلى الموت، ودقّاتُ قَلب المرء وأنفاسُه هي الطريقُ إلى المصير، والبقاء في الدنيا سبيلُ الفناء، فاتّقوا الله رحمكم الله، وكونوا ممّن بادرَ الأعمالَ واستدركَها، وجاهَد النفسَ حتى مَلكَها، وعرف سبيلَ التّقوى فسَلكها، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٨ - ١٩].

الأمن أساس الحضارة والحياة

أيها المسلمون، الأمنُ مطلبٌ عزيزٌ، هو قِوامُ الحياةِ الإنسانيّة وأَساسُ الحضارةِ المدنيّة، تتطَلّع إليه المجتمعات، وتتسابَق لتحقيقِه السّلُطات، وتتَنافس في تأمينِه الحكومات، تُسَخَّر له الإمكاناتُ الماديّة والوَسائلُ العلميّة والدِّراساتُ الاجتماعيّة والنَّفسيّة، وتُحشَد لَه الأجهزةُ المدنيّة والعسكريّة، وتُستَنفَر له الطّاقاتُ البشريّة.

أهمية مطلب الأمن

مَطلبُ الأمنِ يَسبِق مطلبَ الغِذاء، بغيرِ الأمن لا يُستَساغ طعام، ولا يَهنأ عيش، ولا يَلذُّ نوم، ولا يُنعَم براحَة، قال أهلُ الحكمةِ: الخائفُ لا عَيشَ له، وفي التنزيل العزيز: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٣-٤].

الأمنُ مقرونٌ بالإيمان: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، وفي الحَديث: «المؤمِن مَن أمِنَه النّاس على دمائهم وأموالهم»[1]. والسّلام مقرونٌ بالإسلام: «المسلم مَن سلِم المسلمون مِن لسانه ويدِه»[2]. ومَن دخل في الإسلام فقد دخل في دائرة الأمن: «مَن قال: لا إله إلا الله وكفَر بما يُعبَد من دونِ الله حرُم مالُه ودمُه، وحسابُه على الله ﷻ»[3].

ولئن كانَ الأمن يتوفَّر برسوخِ الإيمان في القلوب وتَطهيرِ الأخلاق في السّلوك وتصحيحِ المفاهيمِ في العقول، فإنّه لابدَّ مَع ذلك مِن الشّرعِ العادِل والسّلطان القويِّ والولاية الحاكمة، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد:٢٥].

فوائد الأمن وعوائده

في ظلِّ الأمنِ تُحفَظُ النّفوسُ، وتُصانُ الأعراضُ والأموالُ، وتأمَنُ السّبُل، وتُقامُ الحدود، ويسود العمرانُ، وتنمُو الثّروات، وتتوافَر الخيرات، ويكثُر الحرثُ والنّسلُ، في ظلِّ الأمنِ تقوم الدعوةُ إلى

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٧٩)، والترمذي في كتاب الإيمان رقم(٢٦٢٧)، وقواه العلامة شاكر.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان (١٠، ١١)، ومسلم في كتاب الإيمان رقم(٤٠، ٤٢) عن عبد الله بن عمرو وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان رقم(٢٣) من حديث طارق بن أشيم رضي الله عنه.




الله، وتُعمَرُ المساجدُ، وتُقام الجُمَع والجماعات، ويسودُ الشّرع، ويفشو المعروف، ويقلُّ المنكَر، ويحصُل الاستقرارُ النفسيُّ والاطمئنان الاجتماعيُّ.



وإذا اضطربَ الأمنُ ـ عياذًا بالله ـ ظهَرتِ الفتَنُ، وتزلزَلت الأمّةُ، وتخلخَلت أركانُها، وكثُر الخبَث، والتبَسَ الحقّ بالباطِل، واستعصَى الإصلاحُ على أهلِ الحقّ، إذا اختلَّ الأمن ـ عياذًا بالله ـ حكَم اللّصوصُ وقُطّاع الطرُق، وسادَت شريعةُ الغَاب، وعمّت الفوضَى، وهلك النّاس، وتأمّلوا بُلدَانًا مِن حَولِكم اختلَّ فيها الأمن، فهلَك فيها الحرثُ والنّسل، وسُلِبت الأموال، وانتُهِكت الأعراض، وفسدَ المعاش، فلا حولَ ولا قوّة إلّا بالله.

ومِن أجلِ هذا فإنّ كلَّ عمَلٍ تخريبيٍّ يستهدِفُ الآمِنين ومَعصومِي الدّماء والنّفوس المحرّمة فهو عملٌ إجراميّ محرَّم مخالفٌ لأحكامِ شرعِ الله، فكيفَ إذا كانَ القتلُ والتخريبُ والإفساد والتدمير في بلدٍ مسلِم؟! بلدٍ يُعلِي كلمةَ الله، وترتفِع فيه رايةُ الدِّين والدّعوة وعِلْمُ الشَّرع، وعَلَمُ الشّرع، وحُكمُ الشّرع؟! ثمّ كيفَ إذا كانَ ذلك في مهبطِ الوحي ومبعَث الرِّسالة، في أقدسِ المقدّسات، في دارِ الإسلام دارِ الإيمان التي يأرِز إليها الإسلام والإيمان؟! إنّ ذلك كلّه يزيدُ الحرمَة حرمةً، والإلحادَ إلحادًا، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

فكَم من نفس معصومةٍ أُزهِقت، وكَم مِن أموالٍ وممتلكات محترَمَة أُتلِفت، وكَم من نفسٍ آمنةٍ رُوِّعت! مفاسدُ عظيمة، وشرور كثيرة، إفسادٌ في الأرض، وترويعٌ للآمنين، ونقضٌ للعهود، وتجاوزٌ على إمامِ المسلمين... جرائمُ نكراء، في طيِّها منكرات.

فساد منهج الغلاة

فئةٌ ضالّة وشِرذِمة ظالمة، لقد جمَعوا بين منكرات، وأقدَموا على جَرائم، واقتحَموا آثامًا، أزهَقوا الأنفسَ المعصومةَ من المسلمين وغير المسلمين، من المعاهَدين والمستأمَنين، وكأنّهم لا يَتلون كتاب الله ولا يقرؤون سنةَ رسول الله، لم يسمَعوا قول الله ﷻ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، وفي الحديث الصّحيح: «لا يزالُ المسلم في فُسحةٍ من دينه ما لم يصِب دمًا حرامًا»[١].

عظم قتل النفس

ولقد علِم كلّ ذي عِلمٍ من أهل الإسلام أنَّ قتلَ النفس بغير حقّ من أكبرِ الكبائر، وهي قرينَة الإشراكِ بالله عياذًا بالله، ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الفرقان: ٦٨]، وفي الحديثِ الصّحيح: «أكبرُ الكبائر الشّركُ بالله وقتلُ النفس»[٢]، وعن ابنِ عمر رضي الله عنهما: «إنَّ مِن وَرطات الأمورِ التي لا مخرَج منها لمن أوقَع نفسَه فيها سَفكَ الدمِ الحرامِ بغير حِلِّه» أخرجه البخاري[٣]، ويقول ﷺ: «كلّ ذنبٍ عسَى الله أن يغفرَه إلاّ الرجُل يموتُ مشرِكًا أو يَقتل مؤمنًا

(١) تقدم تخريجه، ص(٢٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الديات رقم (٦٨٧١)، ومسلم في كتاب الإيمان رقم (٨٨) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) تقدم تخريجه، ص(١٣).



حرمة قتل النفس بغير حق

متعمِّدًا»[١]، ويقولُ: «مَن قَتلَ مؤمنًا فاغتَبَطَ بقتله لم يَقبل الله منه صَرفًا ولا عدلًا»[٢]، وعند الترمذيّ: «لو أنَّ أهلَ السماءِ والأرض اشترَكوا في دمِ مؤمن لأكبّهم الله في النّار»[٣]، وعند البخاري في صحيحه: «مَن قتل معاهَدًا لم يرَح رائحةَ الجنّة، وإنّ ريحها يوجَد من مسيرةِ أربعين عاما»[٤].

لقد أتلفوا أموالَ المسلمين وممتلكاتهم بغير وَجه حَقّ، وكأنه لم يطرُق أسماعَهم حديثُ رسول الله: «إنَّ دماءَكم وأموالَكم وأعراضَكم عليكم حرام، كحُرمةِ يومكم هذا، في شهرِكم هذا، في بلدِكم هذا»[٥]، و«كلُّ المسلم على المسلم حرام: دمُه، ومالُه، وعِرضُه»[٦].

حرمة ترويع المسلم

روَّعوا الآمنين، وقد حذّر رسول الله من ذلك أشدَّ التحذير فقال عليه الصلاة والسلام: «لا يحلُّ لمسلم أن يروِّعَ مسلمًا»[٧]. وحَملوا السلاحَ على المسلمين، وقد نهى رسول الله عن مجرَّد الإشارة به

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٩٩)، والنسائي في كتاب تحريم الدم رقم(٣٩٨٤)، والطبراني في الكبير (١٩/ ٣٦٥) عن معاوية رضي الله عنه، وصححه الحاكم (٨٠٣١)، وهو مخرج في السلسلة الصحيحة (٥١١). وفي الباب عن عبادة وأبي الدرداء رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الفتن رقم(٤٢٧٠)، والطبراني رقم(١٣١١) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٢٤٥٠).

(٣) تقدم تخريجه، ص(١٢).

(٤) تقدم تخريجه، ص(١٤).

(٥) أخرجه البخاري في العلم (٦٧)، ومسلم في القسامة (١٦٧٩) عن أبي بكرة رضي الله عنه.

(٦) تقدم تخريجه، ص(٣٦).

(٧) أخرجه أحمد (٥/ ٣٦٢)، وأبو داود في كتاب الأدب رقم(٥٠٠٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٩٥٨، ٩٥٩، ٩٧١)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٤٩) عن رجال من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وحسنه العراقي في فيض القدير (٦/ ٤٤٧)، وصححه الألباني في غاية المرام (٤٤٧). وفي الباب عن أبي هريرة وأنس والنعمان بن بشير وابن عمر رضي الله عنهم.

فكيف بإشهاره والقتل والإعانة؟! وفي الحديث: «**لا يشِرْ أحدُكم إلى أخيه بالسلاح؛ فإنه لا يدرِي لعلّ الشيطانَ ينزع في يده فيقع في حفرةٍ من النار**»[1]. فأيُّ وعيد أشدُّ من هذا؟! فنعوذ بالله من الضلالِ الضلالِ والخذلان، وفي الحديث الآخر: «**من أشارَ إلى أخيه بحديدةٍ فإنّ الملائكةَ تلعنُه، حتى يدَعَه وإن كان أخاه لأبيه وأُمِّه**»[2].

عبادَ الله، إذا كان هذا في حملِ السلاح والإشارة به فكيف بمن استعمَلهُ في إزهاق النفوسِ المعصومة وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**من حمل علينا السلاحَ فليس منّا**»[3]؟!

أيها المسلمون، وأهلُ الذمّة والمعاهَدون والمستأمَنون محفوظةٌ حقوقُهم في الإسلام وفي دِيار المسلمين، دماؤهم معصومَة، وأموالهم محترَمة، يستوون في ذلك مع المسلمين لعموم النّصوص وخصوصِها في أهل الذمة والمعاهَدين، قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقال سبحانه: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، والنبيّ ﷺ يقول: «**مَن قتل**

حفظ حقوق أهل الذمة والمعاهَدين والمستأمنين

(١) أخرجه البخاري في كتاب الفتن رقم(٧٠٧٢)، ومسلم في كتاب البر رقم (٢٦١٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر (٢٦١٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الفتن (٧٠٧٠، ٧٠٧١)، ومسلم في كتاب الإيمان (٩٨، ١٠٠) عن ابن عمر وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما.

معاهدًا لم يرح رائحةَ الجنة، وإنَّ ريحَها يوجَد من مسيرة أربعين عامًا»[1]. فلا يصحّ في دين الإسلامِ إيذاؤهم ولا التعدّي عليهم في أنفسِهم ولا أموالهم ولا ممتلكاتِهم ولا أهلهم، وفي السنن الكبرى عن عليّ: «مَن كانت له ذمَّتُنا فدمُه دمُنا»[2].

وأهلُ الذمّة والمعاهَدون والمستأمَنون ممّن تجب معاملتُهم بالبرِّ والقِسط على حدِّ قولِه سبحانه: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]، بل حتى الجدال معهم أُمِرْنا - نحن المسلمين - أن يكونَ معهم بالتي هي أحسن: ﴿وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت:٤٦].

واستمع هدانا الله وإياك إلى موقفِ شيخ الإسلام وهو يفاوِض في فكِّ الأسرى، يقول رحمه الله: «لا نرضَى إلّا بافتكاك جميعِ الأسرى من اليهودِ والنصارى، فهم أهلُ ذمَّتِنا، ولا نَدَع أسيرًا، لا من أهل الذمّة ولا من أهل الملّة»[3] مع أنه كان في حربٍ مع الصَّليبيّين.

هذه بعضُ النصوصِ والأحكام وكلام بعض المحقِّقين من أهل العلم، فهلَّا اتَّقى الله هؤلاء، ناهيك عمّا وقعوا فيه من شقِّ عصا الطاعةِ ومفارقةِ الجماعة، فذلك كبيرةٌ من كبائر الذنوب، ففي

(١) تقدم تخريجه، ص(١٤).

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٣٤)، والشافعي في مسنده (ص٣٤٤)، والدارقطني في السنن (٣/ ١٤٧)، وفي سنده أبو الجنوب الكوفي الراوي عن علي، قال الدارقطني: «ضعيف الحديث»، وانظر: السلسلة الضعيفة (٣/ ٢٢٤).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٦١٧-٦١٨).

الحديث الصحيح: «من خرج من الطاعةِ وفارق الجماعةَ فمات مات مِيتةً جاهلية»[1]، فلا حولَ ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم.

جرائمُ لا يُقدِم عليها إلاّ مَن طُمِسَت بصيرتُه وزُيِّن له سوءُ عمله ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف:١٠٣، ١٠٤]، وقال سبحانه: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨].

(١) صحيح مسلم: كتاب الإمارة رقم (١٨٤٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الخطبة الثانية

الحمد لله ربّ العالمين، والعاقبةُ للمتقين، ولا عدوانَ إلا على الظالمين، وأشهَد أن لا إلهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، قيّوم السماوات والأرضين، وأشهَد أنّ سيّدنا ونبيّنا محمّدًا عبد الله ورسوله، خاتم الأنبياء والمرسلين، وقائدُ الغرِّ المحجَّلين، صلَّى الله وسلّم وبارك عليه، وعلى آله الطيّبين الطاهرين، وأصحابه الغُرِّ الميامين، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمّا بعد: فاتقوا الله ـ عباد الله ـ ما استطعتم، وتدارَكوا بالتوبةِ النصوح ما فرَّطتم.

أيّها المسلمون، هذه البلادُ ـ ولله الحمد ـ مستمسِكة بدينها، متماسكةٌ تحت ظِلّ قيادتها وولاةِ أمرها، كلُّنا ندين لله بالسّمع والطاعة لولاة أمرنا بالمعروف في غير معصيةٍ، متمثّلين قولَ الله ﷻ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ [النساء: ٥٩]، وقوله: «عليكم بالسمعِ والطاعة»[1].

فضل رجال الأمن

أمّا رجالُ الأمنِ فهم جُنودٌ بواسِل على خيرٍ عظيم، وهم في ثغرٍ من ثغور الإسلام، لا يخفى مقامُهم وشرفُ مكانهم وصلاحُ عمَلهم ونُبلُ مقصَدهم، يؤدّون مهمَّاتهم في إخلاصٍ وتفانٍ وإتقانٍ وكفاءةٍ، فهم على الحقّ والهدَى بإذن الله، بأعمالهم وشجاعتِهم ويقظَتهم تبقى هذه البلادُ عزيزة محفوظة، رافعةً منار الدين، حاميةً لمقدّساتِ المسلمين، محافظةً على حُرُماتهم بإذن الله، فهم بإذن الله صمّام الأمان في حمايةِ دار الإسلام.

(١) تقدم تخريجه، ص(١٤).

أيّها المسلمون، وإنّ مسؤوليةَ مواجهة هذه الفئةِ الضالةِ هي مسؤولية الجميع، كلٌّ حسبَ موقعه، فالإحساسُ بالخطر على الدّين والأهل والدّيار والفُرقة والفوضى هو الأمر الذي يجب أن يستشعرَه الجميع.

مواجهة الفئة الضالة مسؤولية الجميع

ومع كلِّ ما ينبغي من حذرٍ ويقَظة وتكاتُف وشعورٍ تامٍّ بالمسؤولية فليهنأ المسلمون في هذه الديار، وليهنأ كلُّ مواطن ومقيم على دينه وأمنه ومالِه واقتصادِه، ولتهنأ الدولةُ حفظها الله برجالها الفُضلاء وجنودِها الشّجعان المخلصين، ولتطمئنّ الأمّةُ بإذن الله إلى وعيِ ولاةِ الأمور ويقظَتهم في مواقفَ لا يُقبَل فيها إلاّ القوّة والحزم.

ثم هذا خِطابٌ لمن سوّلت له نفسُه القيامَ بهذه الأفعالِ الإجراميّة المحرّمة، أو زلّت قدمُه فوقعَ في شيء من هذه الأعمالِ، أو وقع في رَوعِه لوثةٌ من هذا الفِكر أو تعاطُف معَهم عليهم جميعًا أن يتّقوا الله في أنفسهم وإخوانهم المسلمين، وليبادروا بالتوبةِ إلى الله عزّ وجلّ، وليراقبوا أنفسَهم ويتأمّلوا نصوصَ كتابِ الله وسنةَ نبيّه محمّد، وكلامَ المحقّقين من أهل العِلم الثقاتِ الأثبات، وأن يرجعوا إلى جادّة الصوابِ والحقّ، ويكونوا صفًّا مع إخوانهم ضدَّ أعدائهم المتربِّصين بهم، وأن لا يكونوا معولَ هدمٍ لكيانِ الأمة، فقد علموا من سُنن الله في الأوّلين والآخرين أنّ مثلَ هذه التصرُّفاتِ الطائشة الرّعناء لا يستفيد منها إلّا العدوّ المتربّص، والله لا يستفيد منها إلا العدوّ المتربّص، ولم يجنِ منها الإسلام والمسلمون خيرًا، لا في الماضي ولا في الحاضر، بل كانت النتيجةُ تأخُّرًا وضعفًا والويلُ ثمّ الويل لمن يبوء بإثم هذه الأفعال الشنيعةِ والأعمال المحرّمة.

خطاب للخارجين عن الجماعة

وسطية الإسلام



معالي الشيخ الدكتور: عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس

الحمد لله تفرَّد بالربوبية والألوهية كَمالًا، واختصَّ بالأسماء الحسنى والصفات العلا جمالًا وجَلالًا، أحمده تعالى وأشكره على سوابغ نعمه إِفْضَالًا، وجزيل عطائه نَوَالًا، وأسأله المزيد من فضلِهِ دعاءً وابتهالًا، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، أمرَ بالتمسُّك بالإسلام وسطيةً واعتدالًا، وأشهد أن نبينا محمدًا عبد الله ورسوله المبعوثُ بأوسطِ شريعةٍ وأَكْمَلِهَا خِلالًا، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه، أَكْرِمْ بهم صحبًا وأنعم بهم آلًا، والتابعين ومن تبعهم بإحسان، وسلَّمَ تسليمًا يَتْرَى غُدُوًّا وآصَالًا.

الوصية بتقوى الله تعالى

أمّا بعد: فأوصيكم - أيها الناس - ونفسي بتقوى الله تبارك وتعالَى، تحلَّوْا بها أقوالًا وأفعالًا، فكم أورثت مالًا، وتوّجت جمالًا، وشرَّفت خصالًا، وَوَقَتْ زَيغًا وضَلالًا، وأصلحتْ حالًا ومآلًا!

الثوابت طريق المجد

أيّها المسلمون، من الحقائق والمسلَّمات لدى ذوي البصائر والحِجا[1]: أنه بقدر تمسُّك الأمم بمميِّزاتها الحضاريَّة، والتزامِ الشعوبِ بثوابِتِها وخصائِصِهَا القِيميَّة - بقدر ما تحقِّقُ الأمجادَ التاريخيَّة، والعطاءاتِ الإنسانيَّة.

---

(١) الحِجا: العقل.

أهمية الالتزام بالمبادئ والقيم

وَلَئِنْ بَرَزَتْ في عالمنا المعاصر صورٌ وظواهرُ من الانحرافاتِ، تهدِّد الأمنَ الدوليَّ، وتعرِّض السلامَ العالميَّ للخطر وعدم الاستقرار - فإنَّ مردَّ ذلك إلى التفريطِ في المبادئِ الحضاريَّة، والتهاونِ بالمُثُلِ والقِيَمِ الإنسانيَّة.

الاعتدال والوسطية ميزة حضارية

ومَنْ يُجِيلُ النظرَ في جوانبِ عظمةِ هذا الدينِ - الذي أكرمنا اللهُ به، وهدانا إليه- يجد أن هناك سمةً بارزة، وميزةً ظاهرة، كانت سببًا في تبوُّءِ هذه الأمة مكانَتَهَا المرموقَةَ بين الأممِ، ومَنْحِهَا مُؤَهِّلاتِ القيادةِ والرِّيادةِ للبشريَّة، ومقوِّماتِ الشهادةِ على النَّاس كافَّةً!

لعلكم - يا رعاكم الله - أدركتم ما هذه المَيْزَةُ الحضاريَّة؟ إنَّها سِمَةُ «**الاعتدالِ والوسطيَّة**»، الَّتي تجلِّي صورَ سماحةِ الإسلام، وتُبْرِزُ محاسنَ هذا الدِّين، ورعايته للمثل الأخلاقيَّة العليا، والقيمِ الإنسانيَّة الكبرى؛ يقول الحقُّ- تبارك وتعالى- : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

ولما كان من الضرورةِ بمكانٍ تحديدُ معنى هذا المصطلحِ على ضوءِ المصادرِ الشرعيَّة؛ منعًا للخلط في المفاهيم، واللبس في التصوُّر، وحتَّى نقف على حقيقةِ الوسطيَّة ومجالاتها؛ لتظهرَ الصورةُ المشرقةُ لسماحةِ هذا الدين، في الوقت الذي اشتدَّت فيه الحملةُ على الإسلامِ، وَرُمِيَ أَتْبَاعُهُ بمصطلحاتٍ مُوهِمَة، وألفاظٍ مغرضة؛ لتشويهِ صورتِه والتَّنفيرِ منه؛ تصيُّدًا لأخطاءِ بعض المنتسبين إليه، في زمن قُلِبَتْ فيه الحقائقُ، ونكست فيه المقاييس، وبُلِيَ بعضُ أهل الإسلام بمجَانبةِ هذا المنهج الوضَّاء؛

فعاشوا حياةَ الإفراطِ أو التفريط، وسلكوا مسلكَ الغُلُوِّ أو الجفاء؛ «ودِينُ اللهُ وَسَطٌ بين الغالي فيه والجافي عنه»، والـمُنْبَتُّ[1] لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى.

حقيقة الوسطية

معاشر المسلمين، ولقد عُنِيَ عُلَماءُ الإسلام ببيانِ حقيقةِ الوسطيَّة - الواردة في آية البقرة - وهي لا تخرج عن معنيين مشهورين يؤدِّيان معنىً واحدًا :

- **أوّلهما:** ﴿وَسَطًا﴾ أي: خيارًا عدولا؛ ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ [القلم: ٢٨].

وقولُ الأول[2]:

هُمُ وَسَطٌ يَرْضَى الأَنَامُ بِحُكْمِهِمْ   إِذَا نَزَلَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَمِ

- **والثاني:** أنهم وسطٌ بين طَرَفَي الإفراطِ والتفريطِ.

وَهُو قَولُ جُمْهُورِ المُفَسِّرِينَ وَمَا رجحه الحافظ ابنُ جرير رحمه الله[3].

الوسطية منهج سلف الأمة

- **والوسطيَّةُ** - يا عباد الله - منهجُ سَلَفِ هذه الأمة، يقول شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ رحمه الله: «فإن الفرقةَ الناجيةَ أهلَ السنَّةِ والجماعة: يؤمنون بما أخبر اللهُ به في كتابه، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، بل هم وسطٌ في فرقِ الأمة، كما أن الأمةَ هي الوسطُ في الأمم»[4].

---

(١) قال ابن الأثير في غريب الحديث (١/ ٩٢): «يقال للرجل إذا انقطع به في سفره وعطبت راحلته، قد انْبَتَّ، من البتّ: القطع، وهو مُطاوع بَتَّ، يقال: بتّه وأبتّه. يريد: أنه بقي في طريقه عاجزًا عن مقصده لم يقض وَطَره، وقد أَعْطَبَ ظَهرَهُ» انتهى.

(٢) وهو زهير يمدح قومًا ويصفهم بالعدل والقسط وعدم التحيز .

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٦٢٧).

(٤) الواسطية (١٠)، وانظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٤١).

ويقول الإمامُ الشاطبيُّ رحمه الله: «إن الشريعةَ جاريةٌ في التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط العدل، الآخِذِ من الطرفين بقسطٍ لا ميلَ فيه، فإذا نظرت إلى كليَّةٍ شرعيَّةٍ، فتأمَّلْهَا تَجِدْهَا حاملةً على التوسُّطِ والاعتدال، ورأيتَ التوسُّطَ فيها لائِحًا، ومسلكَ الاعتدالِ واضحًا، وهو الأصلُ الذي يُرْجَعُ إليهِ، والـمَعْقِلُ الذي يُلْجَأُ إليه»[1].

الكليات الشرعية حاملة على التوسط والاعتدال

ويقول الإمامُ العِزُّ بن عبد السلام رحمه الله: «وعلى الجملةِ: فالأَوْلَى بالمرءِ ألَّا يأتي من أقوالِهِ وأعمالِهِ إلَّا بما فيهِ جَلْبُ مصلحةٍ، أو دَرْءُ مفسدة، مع الاقتصاد المتوسِّط بين الغلوِّ والتقصير»[2]، ويقول الإمام العلامة ابن القيم رحمه الله: «ما من أمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى غلو، وإما إلى تقصير؛ والحق وسط بين ذلك»[3].

مسلك الوسط هو الأصل الذي يُرجع إليه

إخوة العقيدة، وتتجلَّى وسطيَّةُ الإسلام في مجالاتِهِ كلِّها: ففي مجال الاعتقاد: جَاءَ الإسلامُ وسطًا بين الملل، فلا إلحادَ ولا وثنيَّة[4]، بل عبوديَّةٌ خالصةٌ لله في الربوبيَّة والألوهيَّة، وكذا في الأسماءِ والصفات: وسطٌ بين أهلِ التشبيهِ والتمثيل، والتحريفِ والتعطيل، وفي القضاءِ والقدر، وسطٌ بين نفاةِ القدَرِ والمغَالينَ فيه القائلينَ: إنّ العبدَ مجبورٌ على فعله.

الوسطية في الاعتقاد

(١) الموافقات للشاطبي (٢/ ٢٨٥).

(٢) قواعد الأحكام (٢/ ٢١١) بتصرف.

(٣) الصلاة وحكم تاركها: (١٥٩). ط مكتبة الثقافة بالمدينة.

(٤) فهو وسط في الاعتقاد بين الخرافيين الذين يعتقدون في الموتى، ويُؤلِّهون الأوثان والقبور! وبين الماديين الذين ينكرون ما وراء الحس، والملاحدة الذين لا يؤمنون بإله قط، منكرين الفطرة، وشواهد الحق.

الوسطية في الإيمان

• **وفي مسألةِ الإيمان:** وسطٌ بين من جَفَوْا فأخَّروا الأعمالَ وأرجَؤُوهَا عن مُسَمَّى الإيمان، وبينَ مَنْ غَلَوْا فأخْرَجُوا مِنْ دائرَةِ الإيمانِ مَنْ عَمِلَ بعضَ المعاصِي، ويَلْحَقُ بذلكَ الحكمُ بالتكفير، فأهْلُ الحقِّ لا يكفِّرونَ بالمعاصي ما لم تُستحل؛ كما لم يجعلوا المذنبَ كَامِلَ الإيمان، بل هو مؤمنٌ بإيمانِه، فاسقٌ بكبيرته.

الوسطية في النبوة والولاية والصحابة

• **وفي باب النبوَّةِ والوَلَايَةِ والصحابة:** توسُّطٌ، فلا غلوَّ فيهم غُلُوَّ مَنِ اتَّخَذَهُمْ أربابًا من دونِ الله، ولا جفاءَ كما جفتِ اليهودُ، ففريقًا كذَّبُوا وفريقًا يقتلون، وأهلُ الإسلامِ الحقِّ يتوسَّطون، فيؤمنون بجميعِ رُسُلِ الله عليهم الصَّلاة والسَّلام وكُتُبِه، ويُحِبُّونَ أولياءَه، ويترضَّوْنَ عن صحابتِهِ رضي الله عنهم وأرضاهم.

الوسطية في العبادة ومراعاة الفطرة الإنسانية

إخوة الإيمان، وثَمَّ مجالٌ آخرُ تتألَّقُ فيه وسطيَّةُ هذهِ الأمَّة: ذاك مجال العبادة ومراعاة مُقتضياتِ الفطرَة، والتَّناسُقِ البديع بين متطلَّباتِ الرُّوحِ والجسد، بلا غلوٍ في التَّجرُّدِ الروحيّ، ولا في الارتكاسِ الماديّ؛ فلا رَهْبَانيَّةَ وَلا ماديَّة، بل تناسُقٌ واعتدال على حدِّ قوله سبحانه: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص:٧٧].

منهج الرسول ﷺ في الوسطية

قد ردَّ رسول الله ﷺ على عثمانَ بنِ مظعونٍ التَّبَتُّلَ[1]، وأنْكَرَ على مَنْ حَرَمَ نفسَهُ طيِّباتِ الدنيا قائلًا: «**أما إنِّي أخشاكم لله، وأتقاكم له، لكنِّي أصُومُ وأُفطِر، وأُصلِّي وأَرْقُد، وأَتزَوَّجُ النِّساء، فَمَنْ**

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، رقم (٥٠٧٣)، ومسلم في كتاب النكاح، رقم(٣٤٧٠) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

رَغِبَ عن سُنَّتي فليسَ منِّي»[1]، وعند مسلم وغيره: «هَلَكَ المُتَنَطِّعُون»[2]، وعنده - أيضًا -: «إنَّ هذا الدِّينَ يسر؛ فأوغِلُوا فيهِ برفق، ولن يُشَادَّ الدِّينَ أحدٌ إلَّا غَلَبَه»[3].

مراعاة حقوق الإنسان وتحقيق التوازن

وهكذا نأى الإسلام بأتباعِهِ عن الكَبَوَاتِ والنَّبَوَات، والهَزَّاتِ والهَفَوَات، التي تُخِلُّ بغايةِ الوجودِ الإنسانيّ، وتضيّعُ حقوقَ الإنسان، وتُفَرِّطُ في تحقيق التوازن بين متطلَّباتِ روحه وجسده، حيث تأرْجَحَتْ كثيرٌ من النُّظُمِ المادِّيَّة، كما هو ظاهرٌ في المدنيَّة الغربيَّة، التي تنطلقُ من نظراتٍ ومقتضياتٍ مادِّيَّة صِرْفة؛ حتى تَنَادَى عُقَلاؤُهُم ومُنْصِفُوهُمْ بالحاجةِ إلى دينٍ يُحَقِّقُ التوازنَ بين الرَّغَبَات، والتَّناسُقَ بَيْنَ المتطلَّبات، ويَرْتَفِعُ بالبشريَّة إلى مُسْتَوى إنسانيَّتِها، وتحقيقِ قِيَمِهَا ومُثُلِهَا، ويَنْتَشِلُهَا مِمَّا تُعَانِيه من بُؤْسٍ وطُغْيَانٍ وشقاءٍ.

الوسطية في التشريع

أمَّةَ الإسلام، ومِنَ المجالاتِ المهمَّةِ، التي تَبْرُزُ فيها وسطيَّةُ هذهِ الأمَّة: ما يتعلَّقُ بالتشريعِ والتحليلِ والتحريم، ومناهجِ النَّظَرِ والاستدلال، فتوسَّطتِ الشريعةُ في هذهِ المجالاتِ بينَ اليهودِ الذينَ حُرِّمَ عليهم كثيرٌ مِنَ الطيِّبات، وبين قومٍ استحلُّوا حتَّى المحرمات، والحكمُ بالتحليلِ والتحريمِ حَقُّ الله وحده: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]، ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، رقم(٥٠٦٣)، ومسلم في كتاب النكاح، رقم(٣٤٦٩) من حديث أنس رضي الله عنه.
(٢) تقدم تخريجه، ص(٣٠).
(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣٠/ ٣٤٦)، قال الأرناؤوط: حسن بشواهده، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، رقم(٢٢٤٦).






الوسطية في مصادر المعرفة بين التنظير والتطبيق

• **وفي منهجِ النَّظَرِ والاستنباطِ:** وازنَ الإسلامُ بينَ مصادرِ التلقِّي والمعرفة، ووافق بينَ صحيحِ المنقولِ وصَريحِ المعقول، وعَالَمِ الغَيْبِ وعالَمِ الشَّهادة، وإعْمالِ النُّصُوصِ ورِعَايَةِ المقاصِد، واستجلاءِ القواعدِ وحِكَمِ الشَّريعةِ وأسرارِهَا، ووازَنَ بينَ تحقيقِ المصالحِ وَدَرْءِ المفاسدِ.

الوسطية في الأخلاق والسلوك

معشرَ الأحبة، وفي مجالِ الأخلاقِ والسُّلوك: مظهرٌ من مظاهرِ الوسطيةِ في هذا الدينِ بين الجنوحِ إلى المثاليةِ[١] والواقعيَّة، ووسطية تزكِّي المشاعر، وتهذِّبُ الضَّمائر، وتسمُو بالتفكيرِ والشُّعور، وتوازنُ بين متطلَّبات الفردِ والمجتمع، وإعمالِ العقْلِ والعَاطِفَة، في تربيةٍ متوازِنَةٍ، وتنسيقٍ متَّسِقٍ بديعٍ على ضوءِ المنهجِ النبويّ: «إنّ لنفسِكَ عليكَ حقًّا، ولأهلِكَ عليكَ حقًّا، ولجسدكَ عليكَ حقًّا، ولِرَبِّكَ عليكَ حقًّا؛ فأعْطِ كُلَّ ذي حقٍّ حقَّه»[٢].

الوسطية في مجال الاقتصاد

• **وفي النظامِ الاقتصادي:** وازنَ الإسلامُ بين حريَّةِ الفردِ والمجتمع، فيحترمُ الملكيَّةَ الفرديَّة، ويُقِرُّهَا ويُهذِّبُهَا، بحيث لا تَضُرُّ بمصلحةِ المجتمع، فجاءَ الإسلامُ وسطًا بين رأسِماليَّةٍ تراعي الفردَ على حسابِ الجماعة، واشتراكيَّةٍ تُلْغِي حقوقَ الأفرادِ وتَمَلُّكَهُمْ بحجَّةِ مصلحةِ الجماعة.

• **وفي مجالِ الإنفاق:** تتحقَّقُ الوسطيَّةُ كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾ [الفرقان: ٦٧]، قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله هو: «الحَسَنَةُ بَيْنَ سَيِّئَتَيْنِ»[٣]،

---

(١) الإسلام وسط في الأخلاق بين غلاة المثاليين الذين أغرقوا في الخيال، فجعلوا الإنسان قريبًا من حال الملائكة، ووضعوا لـه مـن الآداب المتكلفة ما يفوق طاقته وطبيعته، وبين غلاة الواقعيين، الذين جعلوه قريبًا من الحيوان، فساقوه إلى السلوك المشين.

والإسلام بين الطرفين، فالإنسان ليس شرًّا خالصًا ولا خيرًا خالصًا، وقد وضح الله له الطريقين، وهو مكلف بجهاد نفسه وتزكيتها بـما جاءت به الشريعة الغراء.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاستسقاء، رقم(١٩٦٨) من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه.

(٣) انظر: تفسير القرطبي (١٣/ ٧٢).

والمرادُ: أنَّ الإسرافَ سيِّئةٌ، والتقتيرَ سيِّئة، والحسنةُ ما بينَ ذلك، فخيرُ الأمورِ أوسَاطُهَا.

وَلَا تَغْلُ فِي شَيْءٍ مِنَ الأَمْرِ وَاقْتَصِدْ ... كِلَا طَرَفَيْ قَصْدِ الأُمُورِ ذَمِيمُ

وهكذا في مجال الحريَّةِ بينَ الفردِ والمجتمع حرية الرأي والفكر والسلوك وغيرها: جعلَ الإسلامُ ضوابطَ شرعيَّةً لهذهِ الحريَّة، بحيثُ تكونُ ضِمْنَ دائِرَةِ المشروع، ومُجَانَبَةِ المَمْنُوع.

الوسطية في النظام السياسي

أمَّةَ الوسطيَّة، وفي النِّظَامِ السياسيّ: جاء الإسلامُ مَنْهَجًا وَسَطًا بينَ النُّظُمِ، مُبَيِّنًا حقوقَ الرَّاعِي والرَّعِيَّة، حاضًّا على العَدل والقِسْط، معليًا قيم الحق والأمن والسلام والسَّمْعِ والطَّاعَةِ بالمعروف، مترسِّمًا المنهجَ الشُّوريَّ المتكامل، سابقًا شِعَارَاتِ الديمقراطيَّاتِ المعاصرةِ، إلى تحقيقِ منافعِ البلادِ والعباد، في بعد عن الاضطراب والفوضى، محاذرًا الدكتاتوريَّةَ في الحكم، والاستبدادَ في الرَّأي: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

الإسلام صالح لكل زمان ومكان

- **ومِمَّا يُجلِّي وسطيَّةَ الإسلامِ:** جمعُهُ بينَ الأَصَالَةِ والمعاصرة، وتَمَيُّزُهُ بالثباتِ والمرونة، وحُسْنِ التعاملِ مع المُتَغَيِّرَات، وَوَضْعِ الضَّوابطِ للاجتهادِ في النَّوَازِلِ واستيعاب المُسْتَجَدَّات، فهو بثوابتِهِ وأصولِهِ يَسْتَعْصِي على التَّمَيُّعِ والذَّوَبَان، وبِمُرُونَتِهِ يَسْتَطِيعُ التكيُّفَ ويُوَاجِهُ التَّطَوُّرَ بلا جُمُود ولا تحجر، بل يبني الحياةَ على القواعدِ الشَّرْعِيَّة، والنَّوَامِيسِ المَرْعِيَّة، التي تستجيبُ لحاجاتِ الأُمَّةِ في مُخْتَلِفِ الظروفِ والأَحْوَال ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

- **وبعدُ أيها المسلمون، فقصارى القولِ:** أن وسطيَّةَ الإسلامِ شاملةٌ جامعةٌ لكل أمور الدينِ والدنيا والآخرة، بل إنها وجهٌ من وجوهِ الإعجازِ فيه وصَلَاحِيَتِهِ لكلِ زمانٍ ومكان، وبهذهِ الوسطيَّة تَعْظُمُ

مسؤوليَّةُ الأمَّةِ الإسلاميَّة، ورسالتها العالمية، فَهِيَ أمَّةُ الوسطيَّةِ والشَّهادَة: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، شهادةً تُصَانُ فيها الحقوق، وتَتَحَقَّقُ العَدَالَة، وتُحْفَظُ الكرامة، وتُبْنَى الحضارةُ المعاصرة، بعد أن شَقِيَ العَالَمُ بألوانٍ من الصِّرَاعَات، وأُنْهِكَتِ البشريَّةُ بأنواعٍ مِنَ الصِّدَامَات، وتَقَاذَفَتِ الإنسانيةَ أَمْوَاجٌ من الأنظمةِ والأهواء، ومُزِّقَتْ كِيَانَاتُها في رِحْلَةٍ منهكة مِنَ الضَّياع، وَهُوَّةٍ سَحِيقَةٍ من الفناء، وبُؤْرَةٍ عميقة مِنَ التِّيهِ والعَدَم؛ وذلك بسببِ ألوانٍ مِنَ الصَّلَفِ وَالتَّطَرُّفِ والأُحاديَّةِ في الرَّأي والشطط في الرؤى والمواقف.

وسطية الإسلام | ا

الوسطية هي الحل

وَلَئِنْ آلَ حالُ العالَمِ إلى ما نَرَاهُ اليومَ مِنْ تَسَلُّطٍ وصِرَاعٍ حضاريٍّ خَطِيرٍ - فإن الأمَلَ بعد الله في أُمَّةِ الوسطيَّةِ والاعتدالِ أن تَكْبُوَ مِنْ عَثْرَتِهَا، وتُفِيقَ مِنْ غَفْلَتِهَا، وتَجْمَعَ مِنْ شَتَاتِهَا، بعد أن عَانَتْ طَوِيلًا من تجاوزاتِ بَعْضِ أبنائِهَا والمحسوبين عليها عن منهجِ الوسطيَّةِ في مجالاتٍ عَقَدِيَّةٍ وفكريَّة، وسُلُوكيَّةٍ وثقافيَّةٍ وإعلاميَّة، وأصبحَ بعضُ أبنائِهَا يَقْتَاتُ من فُتَاتِ مَوَائِدِ الغربِ، في لَوْنٍ من ألوانِ التَّطَرُّفِ الفكريّ، يقابِلُهُ رُدُودُ أفعالٍ مخالفةٌ في الرأي معاكسة في الاتجاه، فلربما سلكت مسلكَ التجاوز والشَّطَط مع تضخيم إعلامي مفضوح، حتى وُصِمَ الإسلامُ بأخطاءِ هذا وتقصير ذاك، ومن المقرَّرِ لدى النَّصَفَةِ: أنَّ خطأَ الفردِ في تطبيق نظام ما ليس عيبًا في النِّظَامِ نفسه، فأين المصداقية والموضوعية والواقعية؟!

ألا ما أَحْوَجَ الأمَّةَ إلى سلوكِ منهجِ الوسطيَّةِ، في علاجِ كثيرٍ مِنَ الانحرافات في شتَّى المجالات، وهذا كلُّه يُلْقِي على كواهل علماءِ الشريعة، ودعاةِ الإصلاحِ في الأمَّةِ المسؤوليَّةَ الكبرى أمام الله، ثمَّ

أمامَ الأمَّةِ والأجيالِ التي تَنْشُدُ سبيلَ الخلاصِ من إفرازات تجَاوز منهج الوسطية المتألق، وكان اللهُ في عونِ العاملينَ المخلصينَ لدينهم وأمَّتهم ومجتمعاتهم!

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

نفعني الله وإيَّاكم بالقرآن العظيم، وبهدي سيد المرسلين، أقول قولي هذا، وأستغفرُ اللهَ العظيمَ الجليلَ لي ولكم ولكافَّةِ المسلمين من كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه، وتوبوا إليهِ؛ إنَّه كان حليمًا غفورًا.

• ○ • ○ •

الخطبة الثانية

الحمد لله منَّ علينا فجعلنا أمة وسطا، أحمده سبحانه، تعالى أن يقول غلطًا، وأشهد أن لا إله إلاّ الله، وحده لا شريك له، تقدَّس أن يقضي لغطا، وأشهد أن نبينا محمدًا عبد الله ورسوله، المنَزلُ عليه قولُ ربِه سبحانه: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، **صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه الذين سلكوا منهجًا وسطًا، فلا تجاوز ولا شطط، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.**

أمــا بعــد:

فاتقوا الله عباد الله، وتحلَّوا بالمنهج الوسط كما شرع الله، واستقيموا على الوسطية كما سنَّ رسول الله ﷺ، وسار على ذلك سلفكم الصالح عليهم رضوان الله.

شمــول الوسطية لمنــاحي الحــياة

أيها الإخوة في الله، ولم تقف وسطية الإسلام على أمور العبادات، من طهارة وصلاة ونحوها فحسب، بل تعدَّتها إلى العادات والمعاملات، واللباس والطعام والنوم وغيرها، في تنظيمٍ شاملٍ لشتَّى مناحي الحياة.

الوسطية في مجال المــرأة

أيها الإخوة والأخوات: وثَـمَّ مجال آخر برزت فيه وسطية هذه الأمة في جانبٍ من أهم جوانبها، ألَا وهو الجانب المتعلق بالمرأة، فجاءت هذه الشريعة الغراء والمرأةَ مظلومةً بين جاهليتين؛ فكرَّمتها، وحفظت حُقُوقَها، وسمت بها أن تكون أجيرة، وصانتها من الوقوع في مستنقعات الرذيلة، وكَفَلَت لها حُرِّيَّتَها الشرعيَّة، ونأت بها عن مسالك التحرُّر من القيم، والهبوطِ إلى دَرَكَات الإباحيَّة والانحلال، والانسلاخِ من الفضائلِ، وسلوك مسالك التبرج والسفور والاختلاط.

غير أنّ ثَمَّ ملحظًا أخيرًا مهمًّا، وهو أن الوسطية في الإسلام لا تخضع للأهواء والرغبات، فليست تنصلًا من الثوابت والمقومات، ولا تمردًا على المبادئ والغايات، وإنما تُضْبَطُ بضوابطِ الشريعة، فمن الناس: من يحمل على كل ملتزم بدينه، لاسيما من أهل الخير والحسبة والإصلاح، ويصفهم بالتزمت والغلو، فمن يلتزم بالسنة باطنًا وظاهرًا - عندهم - مُتَحَجِّرٌ متشدِّدٌ، ومن يدعو إلى الإسلام غالٍ متنطِّعٌ، والغيورون عليه رَجْعِيُّونَ مُتأخرون، أما المنهزمون المتفلتون من المثل المفرِّطون بالقيم، المتلاعبون بالثوابت والمبادئ: فهؤلاء - عندهم - متمتعون بسعة الأفق، متحرِّرون متنوِّرون، مُتَفَتِّحُونَ على الآفاق المعاصرة، واقعيُّون في النظر والسلوك!

ضابط الشريعة يحمي من طرفي الانحراف

ولَعَمْرُ الحقِّ! إنّ هذا نوع من التطرُّف المحموم والفكر المسموم، في مقابل نوع غير متكافئ من الغلو المذموم! مما يحمل طُلَّابَ الوسطية على الاعتدال بين ذينك الطرفين.

والدعوةُ مُوجَّهة من بلاد الوسطية حِسًّا ومعنًى، مكانًا وزمانًا، وعقيدةً ومنهاجًا - زادها الله خيرًا وهدى وتوفيقًا- إلى أن يَفِيءَ العالَمُ إلى ظِلال هذه الوسطية المتألقة؛ لِيُحَقِّقَ لنفسه ومَنْ حوله الخيرَ والسلامَ، ليعيشَ الناسُ في أمن وأمان، وإخاءٍ ووئام، ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١].

ألَا وصلُّوا وسلِّموا - رحمكم الله - على إمامِ الحنيفيَّة، المبعوثِ بالاعتدالِ والوسطيَّة؛ كما أمركم بذلك ربكم ربُّ البريَّة، فقال تعالى في محكم تنزيله وأصدق قيله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

المنارات العواصم من الفتن القواصم

الخطبة الأولى

معالي الشيخ الدكتور: عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس

إن الحمدَ لله نحمدك ربي ونستعينك ونستغفرك، سبحانك ربنا توالت مِننُك علينا وُحدانًا ووفدًا.

الحَمْـدُ للهِ حَمْـدًا دائِـمًا وكَفَـى　　　شُكْرًا على سَيْبِ جَدْواه الـذِي وَكَفَـا

وأشهَدُ أنْ لا إلـه إلَّا الله وحْدَه لا شريكَ له، شهادَةً نَستَلْهِمُ بِهَا التَّوفِيقَ والرُّشْدَ، وأشْهَدُ أَنَّ نبِيَّنَا وحبِيبَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ الله ورسُوله، أزْكَى البَرِيَّةِ سَيِّدًا وَعَبْدًا، صَلَّى الله عليه، وعَلَى آله الأطْهَارِ مَحْتِدًا لم يَزَلْ يَنْدَى، وذُرِّيَّتَهُ المُباركين ثَنَاءً ومَجْدًا، وصَحَابَتِهِ الأبْرَار، والتَّابِعِين، ومَن تَبِعَهم بِإحْسَانٍ، مِمَّنْ هَامَ بِهِمُ اقْتِدَاءً وَوَجْدًا، وسَلِّم إلَـهَ العَرْشِ تسْلِيمًا عديدًا مَدِيدًا، هُمْ به أحْرَى وأَجْدَى، أمَّا بعد:

فَيَا عباد الله: اتَّقوا الله حَقًّا حَقًّا، فتَقواه -تَعالَى- هِيَ الحُلَّةُ الأنْقَى، والعِصْمَةُ الأبْقَى؛ تَصْلُحْ أحْوَالكم وتَرْقَى، وتَبْلُغوا مِنَ الأمْجادِ شَأْوًا مَدِيدًا وسَبْقًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

الوصية بتقوى الله تعالى فهي عصمةٌ من الفتن

فَمَـنْ تَـدَرَّع بالتَّقْـوى اسْتَنَار بِهـا　　　وبَـاتَ في بَهْجَـةِ الأعْـمالِ جَـذْلانَا
فَـسِرْ، أَمَامَـكَ دَرْبُ الخَيْرِ مُزْدَهِرٌ　　　شُـجُونُهُ امْـتَلأَتْ رَوْحًـا ورَيْحَانَـا

النجاة من الفتن في التمسك بالكتاب والسنة

أيّها المسلمون، حينما تكثُر الفِتَنُ في الأمة والمتغيرات، وتدلهِمُّ الخطوبُ والمِحَنُ في المجتمعات، وتُخَيِّم على سمائها الصافية سُحُبُ المخالفات، فيلتبس الحق بالباطل، ويختلط الهدى بالضلال؛ فإن الأمة لن تجد إلا في التمسك بالكتاب والسنة المستعصَم؛ لأن في الكتاب والسنة الفوز والنجاة من المحن، والمخرج من الورطات والفتن، وإنه في هذا العصر وبعد أن تسربت إلى صفوف الأمة ألوانٌ من المسالك المنحرفة، وتسللت صنوفٌ من الطرقِ الفاسدة، واختلط الحابلُ بالنابل، وتشعبت المناهج والغايات، وعمَّت الفتن والبلاءات، وتفرقت الأمة شيعًا وأحزابًا، وتاهت في أيامِ الزمانِ أعوامًا وأحقابًا، وثارت عليها عواصف التغيير والمستجدات، وهَبَّتْ عليها أعاصير التموّجات والتحوّلات، وتداعت عليها الأمم؛ فإنه لا نجاة ولا منجى لهذه الأمة إلا بتمسكها بكتاب ربّها وسنة نبيها ﷺ، قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣]، وقال ﷺ: «تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا بعدي أبدًا: كتاب الله وسنتي» خرجه مالك في الموطأ[1].

معاشر المسلمين: إن الوهن الذي أصاب الأمة، والضعف الذي حل عليها كالغُمَّة، حتى انقلبت الموازين، واختلفت المقاييس، وانتكست الرايات، واحْلَولَكت الظُّلُمات، وعَلَتْ الفتن كأمواج البحر الهادر، وصار أفرادُ الأمةِ كضرائر الحسناء، وفَشَتْ فيهم مُعْضِلات الأَدْواء، فَعَلَا صوت الغوغاء فوق الحكماء:

(١) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب القدر، رقم (٣) بلاغًا، والحاكم (١/ ٩٣)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٤٠).

فالوحيُ كافٍ للذي يُعنى به	شافٍ لداءِ جهالةِ الإنسان
والله ما قال امرؤٌ متحذلقٌ	بسواهما إلا من الهذيان[(١)]

إخوة الإسلام: وإن امتطاء صهوة الأهواء، والافتتان بالآراء، والبعد عن كتاب ربنا وسنة نبيّنا لهو ضلال وخسران، وخزي وحرمان، حيث الفتن المُشْتدة، والمِحَنُ المتلاحقة، والسُّبُل المتشابكة، وقد قال ربنا – سبحانه– وهو أصدق القائلين: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

تجنب الفتن وعدم التورط فيها

قال الإمام الطبري رحمه الله: «ومن يتعلق بأسباب الله، ويتمسك بدينه وطاعته، فقد وُفِّق لطريق واضح، ومحجة مستقيمة غير معوجة»[(٢)].

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «إن السَّعِيْد لمن جُنِّب الْفِتَن - يرددها ثلاثًا - ، ولمن ابتلي فصبر فَوَاهًا»[(٣)].

وأحييت في الإسلام عِلْمًا وسُنَّةً	ولم تَبْتَدِع حُكْمًا من الحكم أسْحَمَا
ففي كل يوم كنت تَهْدِمُ بِدْعَةً	وتبني لنا من سنةٍ ما تَهَدَّمَا

وقال الإمام مالك رحمه الله: «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، فإذا كان أولها صلح بالكتاب والسنة فلن يصلح آخرها إلا بالكتاب والسنة»[(٤)].

(١) انظر: النونية لابن القيم (١/ ٢٦٦).
(٢) تفسير الطبري (٥/ ٦٣٤) بتصرف.
(٣) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الفتن، رقم(٤٢٦٣) وصححه الألباني في السلسلة رقم(٩٧٥).
(٤) انظر: مسند الموطأ للجوهري (٧٨٣).

أمة الإسلام: لقد أمرنا الله تعالى بالرجوع إليه وإلى رسوله ﷺ عند الاختلاف، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، قال مُجاهد رحمه الله في قوله تعالى: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ أي: فردُّوه إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ[١].

وأخرج أهل السنن من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إنه من يَعِشْ منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومُحْدثاتَ الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**»[٢].

فريضة الرجوع إلى الراسخين في العلم

ولذلك فإن الواجب على الأمة الرجوع في المشكلات -لاسيما عند الأزمات- إلى الراسخين في العلم الصادقين في الدين، فهم أكثر الناس فقهًا وعلمًا، وأعلم الناس بالحلال والحرام ومقاصد الأحكام، الذين يعرفون المحكم من المتشابه، كما جاء عنهم في قوله سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

فالرجوع للعلماء الراسخين في العلم، لاسيما في زمن الفتن والنوازل، ليس اختيارًا، بل هو فرض شرعي وأمر إلهي: قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٧/ ١٨٥)، وتفسير ابن كثير (٢/ ٣٤٥).

(٢) تقدم تخريجه، ص(١٤).

البُعد عن كل ما يفضي إلى الفرقة

• **ومن منارات ودلائل الاهتداء في الفتن:** البعد عن كل ما يفضي إلى الفرقة والاختلاف، ومن ذلك ما يحصل من بعض المجادلات العقيمة التي تثير الشحناء والبغضاء، فقد كره النبي ﷺ من المجادلة ما يفضي إلى الاختلاف والتفرق، فقد روى الترمذي في سننه، أن رسول الله ﷺ خرج على قوم من أصحابه وهم يتجادلون في القدر؛ فكأنما فُقِئَ في وجهه حَبُّ الرُّمَّان، وقال ﷺ: «أبهذا أُمِرتُم، أم إلى هذا بعثتم؟ أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، إنما هلك من كان قبلكم بهذا، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض»[1].

خطورة الفتن على المجتمعات

أمة الإسلام: وإنه إزاء ما تعيشه بعض بلاد المسلمين من فتنٍ وأحداث، فإن كل غيور مهتم بشأن أمته يلاحظ أنه حدثت فتن في تضاعيف هذه الأحداث، تشعل فتيلها والأوار، وتسكب الزيت على النار، وتعمل على إذكاء النعرات والعصبيات، التي تفاقم الأوضاع سوءًا، وتمكِّنُ أعداء الأمة استغلالها لأغراضٍ خطيرة.

الحذر من مكر الأعداء ومسلك الفتن والفرقة

مما يتطلب الوعي والإدراك لما يُحاك للأمة الإسلامية من مؤامراتٍ ترمي إلى الإضرار بوحدتها، والعبث بأمنها واستقرارها، وتشحن النفوس نحو الفتنة والفرقة، بدعواتٍ مضللة، وشائعاتٍ مغرضة، تنال من الثوابت، وتطال الإساءة للرموز، أو التهجم على دُور العبادة، ليتحقق للأعداء ما يريدون، من إهدار الطاقات، وتدمير المقدرات، بما أفضى إلى إشغال أُمَّتِنَا عن كبرى قضاياها، ونَكْءِ مآسيها في ذكرى نكبتها، ولعل الغُيَّر يتفاءلون بالمصالحة والاتفاق بعد التجافي والافتراق.

---

(١) أخرجه الترمذي في السنن، باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر رقم(٢١٣٣)، وأخرجه أحمد في المسند (١١/ ٤٣٤) رقم(٦٨٤٥)، وصححه الألباني في الصحيحة، انظر حديث رقم(٨٦١).

أمة التوحيد والوحدة: وإن مِن الفتن التي ضاعَفت المِحَنُ عِلَّتها، ودَأبَتْ على تَأجيج جَذْوَتِها، فتنة إذكاء النعرات الطَّائفيَّةِ المَقِيتَة المُحْتدَّة، والعَصَبيَّة الشَّتِيتَة المُمْتدَّة، التي انْحَرَفَت عن الوَلاء الصَّحِيح، وفرَّقت صَفَّ الأمة الصريح.

فتنة الطائفية

إنَّ ركوب موجة النعرات الجانِحَة، المُتَذَرِّعة بِحُجَج وَاهِيَة – وفي هذه الآونةِ تحديدًا- لم يكُن من دَيْدَنه إلَّا تَصْدِيرُ الفِتَنِ والقلاقل والبَغضاء، وصِناعَةُ الزَّوابع والشَّحْنَاء، وإفْسَاد العَلاقاتِ البَرِيئة بين أفراد المجتمع الواحد، وبين أفراد الأمة جمعاء، دون عقلٍ رادع، ولا ضمير وازع.

النعرات المقيتة تفسد العلاقات البريئة

وإن من المقلق للغيورين أنَّ تلكم النعرات الرعناء، قد أَمِرَ أمْرُها وازْدَاد، وتوسّع مدّها وارتاد، ولكن دُونَ إنْصَافٍ أو سَدَاد، حَيث تتناول الحقائق الرَّاسِخة، بالمُغالطاتِ المَاسِخة، وتَتَصَدَّرُ الحَقَّ الصُّراح، بالتّمويه والجُناح، وأسَانِيد مَبْتُورَة الجَنَاح.

ولعمرو الله! إنه لا فَوْزَ للأمة ولَا سعادة للخلق إلَّا بالتديُّن الحق على هَدْي الوَحْيَيْنِ الشّريفين.

وَهُمَا كتاب الله أعدلُ حاكم ... فيه الشِّفَا وهدايةُ الحيرانِ
والحاكمُ الثاني كلامُ رسولِه ... مَا ثَمَّ غيرهما لذي إيمانِ[1]

وصدق الله العظيم حيث قال في كتابه الكريم وهو أصدق القائلين: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

(١) نونية ابن القيم (١/ ١٨).

الخطبة الثانية

الحَمد لله على نِعَم أَثْنَتْ بها الجَوَارِحُ والسَّرَائر، وأشهد أنْ لا إلـه إلَّا الله، وحْدَه لا شريك له، شهَادة لَهَجَتْ بها الألْسُن والضَّمَائر، وأَشْهَدُ أنَّ نبيَّنَا محمَّدًا عبد الله ورسوله أزكى الأوَائل والأوَاخِر، مَنِ اقْتَفَى هَدْيَهُ حَازَ المَآثر والمَفَاخِر، صَلَّى الله وسلَّم وبَارك عليه، وعلى آله وذُرِّيَّته النُّجوم الزَّواهر، وصَحَابَتِهِ البَالِغين أسْمَى البَشائر، والتَّابعين، ومن تَبِعهم بإحسان إلى يوم الدِّين، أمَّا بعد:

فاتَّقُوا الله – عباد الله– والْزَمُوا دِينَ الحَقِّ ومَا لَهُ مِن زَكِيِّ الشَّعَائر، تَفُوزوا بِخَير الجَزَاء وعظيم الذَّخَائر، وتُهْدَوْا إلى أَسْنَى الدَّلائل والبَصَائر.

تنمية الوعي الصحيح

معاشر المسلمين: وفي خِضم هاتيك الأموَاج، وزَخَارِها الثجّاج، واستشراقًا لآفاق مسْتقبلٍ أزْهر أغر، لزِم المجتمعات والأمم أن يعيدا صِيَاغة أذهان الجيل من الشباب والفتيات، وتنمِية الوعي الإسلامي الصحيح لَدَيْهِم، في تواكب لأحداثِ العَصْر ومتطلّبَاته، وتطوّرَاته وتحدِّياته، واستنهاضهم للاعتزاز بالهَدْيين الشريفين: كتاب الله، وسنة نبيّه – عليه الصلاة والسلام-؛ تحقيقًا لوحدة الأمة وترسيخًا لأُخُوَّةِ الإسلام.

يـا أيهـا الرجـل المـريد نجـاته	اسمـع مقالـة ناصـحٍ مِعـوانِ
كـن في أمـورك كلهـا متمسـكًا	بـالوحي لا بزخـارف الهـذيانِ
واتبـع كتـاب الله والسـنن التـي	جـاءت عـن المبعـوث بالفرقـان[1]

(١) نونية ابن القيم (١/ ١٦).

أيها الإخوة الأحبة في الله: وإن مِنْ منارات الاهتداء عند الفتن تعظيم النصوص الشرعية، ولزوم الثوابت المرعية، والاعتصام بالجماعة.

تعظيم النصوص الشرعية ولزوم الجماعة

والحذر مِنْ كل مَنْ يريد إذكاء الفتن وتفاقم الأوضاع، وتأجيج الفُرقة والنزاع، والشقاق والصراع، وتجاوز مكتسبات الأوطان، ومقدَّرات الشعوب والبلدان، والسعي في الأرض بالفساد، وتجاوز الانسياق المحموم والإغراق المذموم إزاء ما تبثه القنوات الفضائية، والشبكات المعلوماتية، مما يبعث على التهييج والإثارة، في غيابٍ لصوت العقل والحكمة، والنظر للمصالح العليا، واعتبار المآلات.

النظر للمصالح العليا واعتبار المآلات

كما ينبغي الإقبال على العبادة، والتزام الطاعة، فقد ورد عند مسلم وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «العبادة في الهرج كهجرة إلي»[1]، والإكثار من الدعاء والضراعة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢ – ٤٣]، وأخيرًا:

لزوم العبادة

تمسك بحبل الله واتبع الهُدى	ولا تك بِدْعِيًّا لعلك تُفلحُ
وَدِن بكتاب الله والسنن التي	أتت عن رسول الله تنجو وتَربح

حفظ الله أمتنا الإسلامية من شرور الفتن كلها، ما ظهر منها وما بطن، وأدام علينا نعمة الأمن والإيمان والاستقرار والرخاء، إنه ولي التوفيق والسداد والرجاء.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفتن رقم(٣٩٤٨) من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه.

الأمن الفكري

الخطبة الأولى

معالي الشيخ الدكتور: عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس

أمّا بعد: فأوصيكم - عبادَ الله - ونفسي بتقوى الله عز وجل، فهُدَى النفوسِ بتقواها، وبإعراضِها عنها رداها في دينِها ودنياها وأُخراها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الأنفال: ٢٩].

أيها المسلمون، عنوانُ تقدُّم الأمَمِ وفَخارِها، ومبعَث أمنِها وأمانِها واستقرارِها؛ مرهونٌ بسلامة عقولِ أفرادها، ونزاهةِ أفكار أبنائِها، ومدَى ارتباطهم بمكوِّنات أصالتِهم، وثوابتِ حضارتِهم، وانتظامِهم منظومتَها العقديّة والفكريّةَ، ونوعيّتَها الثقافيّة والقِيَميّة.

أهمية الأمن الفكري بين أنواع الأمن الأخرى

ومن **محاسنِ شريعتِنا الغرّاء أنها جاءت بحفظِ العقول والأفكار**، وجعلت ذلك إحدَى الضرورات الخمس التي قصدَت إليها في تحقيقِ مصالح العباد في أمورِ المعاش والمعاد، كما جاءت بحِفظ الأمنِ للأفرادِ والمجتمع والأمّة، ومع أنَّ الأمنَ بمفهومِه الشامل مطلَبٌ رئيس لكلِّ أمّة؛ إذ هو ركيزَة استقرارِها، وأساسُ أمانِها واطمئنانِها، إلَّا أنَّ هناك نوعًا يُعَدُّ أهمَّ أنواعِه وأخطرَها، فهو بمثابةِ الرأس من الجسَد؛ لِما له من الصِّلة الوثيقةِ بهويّة الأمّة وشخصيّتِها الحضارية، حيث لا غِنى لها عنه، ولا قيمةَ للحياة بدونه، فهو لُبّ الأمنِ ورَكيزتُه الكبرى، ذلكم - يرعاكم الله - هو الأمنُ الفكريّ.

تعزيز الشريعة للأمن الفكري

فإذا اطمأنَّ الناس على ما عندهم من أصولٍ وثوابِت، وأمِنوا على ما لدَيهم من قِيَم ومثُلٍ ومبادئ فقد تحقَّق لهم الأمنُ في أَسمى صوَرِه وأجلَى معانيه وأَنبلِ مَراميه، وإذا تلوَّثت أفكارُهم بمبادئَ وافِدة ومناهجَ دخيلة وأفكارٍ منحرِفة وثقافاتٍ مستورَدَة، فقد جاس الخوفُ خلالَ ديارهم وحلَّ بين ظهرانَيهم، ذلك الخوف المعنويّ الذي يهدِّد كيانهم ويقضِي على مقوِّماتِ بقائهم.

لذلك حرصت شريعتُنا الغرّاء على تعزيز جانِبِ الأمن الفكريّ لدى الأفراد والمجتمعِ والأمّة، وكان لها قَصَب السبقِ في ذلك عن طريقِ تحقيق وسائلَ متعدِّدة، أسهمَت في حمايته والحفاظِ عليه من كلِّ قرصَنَة فكريّة، أو سَمسَرة ثقافيّة، أو تسلُّلات عولميّة، تهزُّ مبادئَه، وتخدِش قِيَمه، وتمسّ ثوابته.

أهمية الأمن الفكري، وثمار تحققه ووجوده

إخوةَ الإيمان: إنّ الأمنَ الفكريَّ لدى هذه الأمّةِ يعني أن يعيشَ أهل الإسلام في مجتمَعِهم آمنين مطمئنِّين على مكوِّنات شخصيّتِهم وتميُّز ثقافتِهم ومنظومَتِهم الفكريّة المنبثقةِ من الكتاب والسنة، وتأتي أهمّيتُه في كونه يستمِدّ جذورَه من عقيدة الأمة ومسلَّماتها، ويحدِّد هويَّتَها، ويحقِّق ذاتِيَتها، ويراعي مميِّزاتها وخصائصَها، وذلك بتحقيقِ التّلاحُم والوَحدة في الفكرِ والمنهج والسّلوك والهدف والغاية، كما أنّه - بإذن الله - سِرّ البقاء، وسبَب النماء، وطريقُ البناء، وعامِل العطاء، وقاعِدة الهناء، وضمانةٌ – بحول الله – من التلاشِي والفناء.

فإذا اطمأنَّ أهلُ الإسلام على مبادِئهم وقِيَمهم وفِكرِهم النيِّر وثقافتِهم المميَّزة، وأمِنوا على ذلك من لوثاتِ المبادئ الوافدَة، وغوائلِ الانحرافات الفكريّة المستورَدَة، ولم يقبَلوا التنازلَ عن شيءٍ من



ثوابتِهم، ولم يسمَحوا بالمساوَمَة والمزايَدَة عليها، وعمِلوا على حراسَتها وحَصانتها وصِيانتها - فقد تحقَّق لهم الأمنُ الفكريّ.

وبضدِّها تتميز الأشياء، فإذا غدَت مبادِئهم وثوابتُهم محلًّا للمساومَاتِ والمزايدات، عبرَ حِوارات وأطروحاتٍ تضَع قضايا الأمّة ومسلَّماتها موضعَ البحثِ والمراجعة والنّقد والمناقشة، وتنبرِي الأقلامُ وترتفِع الأصواتُ عبرَ الصّحف ووسائلِ الإعلام بالانقلاب عليها، وزَحزَحة مكانتها في نفوسِ الأجيال وكِيان المجتمع والأمّة - فعند ذلك يحصُل الخوفُ المعنويّ والخلَل على أمنِ الأمّة الفكريّ، بل إنّ الخوفَ على الفكر الصحيحِ والثقافة الشرعيّة والمبادئ الإسلاميّة الأصيلة، أشدُّ من الخوفِ على مجرّدِ النفوس والأجسادِ والمقوّماتِ المادّية.

الخلل في الأمن الفكري طريقٌ إلى الخلل السلوكي والاجتماعي

أضِف إلى ذلك أنَّ الخلَلَ في الأمنِ الفكريّ طريقٌ إلى الخللِ في الجانب السلوكيّ والاجتماعيّ، وما سلكَت فئامٌ في الأمّة مسالِكَ العنفِ والإرهاب والقتلِ والإرعاب والتدمير والتفجير إلَّا لما تشبَّعت أفكارُها وغسِلَت أدمِغتها بما يسوِّغ لها تنفيذَ قناعاتها وتحسينَ تصرّفاتها، وذلك راجعٌ إلى رصيدٍ فكريّ ومخزون ثقافيّ أفرزَ عملًا إجراميًّا وسلوكًا عدوانيًّا.

التذكير بقضية الأمن الفكري ومنهج الوسطية

لذا فإنّ الحاجة ماسّة إلى التذكير بقضيّة الأمنِ الفكريّ، لا سيما في هذا العصرِ الذي هبَّت فيه رياحُ الجنوحِ عن منهجِ الوسطيّة والاعتدال، وتعدَّدت فيه أسبابُ الانحراف ووسائلُ الانحلال، خاصّةً في تلك الحقبةِ العصيبة والمنعَطف الخطير الذي تمرّ به مجتمعاتُنا وأمّتُنا ويُكادُ فيه لأجيالِنا وَناشئتِنا وشبابنا، مما يحتِّم المسؤوليةَ العظمى على جميع شرائحِ المجتمع وأطيافِ الأمّة في الحفاظِ على أمنِ الأمة الفكرِي، بل

وعلى المستوَى العالميِّ والدّولي ما تقدِم عليه الصهيونيةُ العالمية من إجراءاتٍ لتهويدِ مقدَّسات المسلمين في فلسطينَ والأقصى، ومثلُ ذلك ما تفاقم فيه الحالُ في بلاد الرافدين، كلُّ ذلك نِتاج فِكرٍ منحرِف يهدِف إلى القضاء على مقدَّرات المسلمين، وطمسِ معالم هُويّتهم، فرحماك ربَّنا رحماك!

واقع الأمن الفكري في الأمة: أسباب تقويضه وزعزعته

أمَّة الإسلام: إنَّ المتأمِّلَ في واقعِ الأمن الفكريِّ للأمّة، يُصاب بالذّهول وهو يرَى كثرةَ الأسباب والعوامِل التي تسعَى إلى تقويض بنيانِه وزعزَعة أركانِه والعملِ على إغراقِ سفينته، وَسطَ أمواجٍ عاتية وسيولٍ جرّارة هادرة، مِن ألوان الغزوِ الفكريّ المركَّز، والتحدّي الثقافيّ المعلَن، **ولعل أخطرَ تلك الأسبابِ:**

١- يقول الله ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، وأيُّ بركةٍ أعظمُ مِن تحقيق الأمن؟!

٢- وكذلك التساهُل في مجالاتِ الدعوة والحسبة، وهما صِمام الأمانِ في تحقيق الأمنِ الفكريّ.

القصور في جوانب العقيدة وتطبيق الشرع

٣- ومن ذلك التزهيدُ في علماءِ الشريعة وتركُ الرجوعِ إليهم، خاصّةً في النوازل والمستجدّات التي يتطلَّب النظر فيها إلى فهمٍ دقيق واستنباطٍ صحيح.

٤- وكذا الأخذُ والتلقي من أنصافِ المتعلِّمين والخائضين في أمورِ الشريعة والإفتاء تحليلًا وتحريمًا، وهم ليسُوا من ذلك في وردٍ ولا صدر.

٥- وثَمّةَ سببٌ مهِمّ في الخلَل الفكريّ، وهو القصورُ في جوانبِ التربية والتعليم، ووجودُ الخللِ في الأسرة ومناهج التعليم، وتضييق النطاقِ على العلومِ الشرعيّة ومزاحمَتها بغيرِها، مع أنها الأصلُ



الذي تنبني عليه سائرُ العلومِ المعاصرة، ولقد أدرك الخصومُ أنَّ قوّةَ الأمّة تكمُن في التزامِها بدينِها، وأنّ ذلك لن يتحقّق إلّا بإيلاءِ المناهجِ التعليميّة الشرعيّة الاهتمامَ والعناية، فعمِلوا على الحدِّ من تعليمِ الناشِئة هذا الدين بمحاسنِه وجماليّاتِه، ممّا كان عاملًا لسهولةِ التأثُّر بالأفكارِ المنحرفة والمناهِجِ الدخيلة، التي ترمِي إلى تقويض دعائمِ الأمنِ الفكريّ.

إخوةَ العقيدة: ومما ينكأ الجراحَ في قضيّة الأمن الفكري:

٦- ذلك الزّخَم الهائل من وسائلِ الغزوِ الفكريّ والثقافيّ، الذي يرفع عقيرَتَه فئامٌ من ذوي الاستِلابِ الثّقافيّ وضحايا الغزوِ الفكريّ، من بني جِلدةِ المسلمين ومَن يتكلّمون بألسنتهم، ممَّن يسلكُون مسالكَ متعدِّدة في الخضوعِ للغزوِ الثقافيّ، بل ومحاولةِ إخضاع المجتمَع المسلم المحافِظ لرغبتِها وجنوحِها المنحرِف، بدعاوَى فجّة تحت سِتار حرّيّة الرأي وحرّيّة التفكير وغيرِها من الصِّيَغ المعسولَة والأسماء المنمّقَة، فلم يتورَّع هؤلاء عن النّيلِ من الذّات الإلهية والصّفات العليّة، تعالى الله عمّا يقولون علوًّا كبيرًا! والإساءةِ إلى شخصيّة المصطفى ﷺ، ولتعاليمِ الشريعة وآدابها.

وسائل الغزو الفكري والثقافي

ومنَ المؤسِفِ حقًّا أن جدارَ ثقافتنا الإسلامية على الرّغم من قوّتِه ومتانته، قد تعرَّض للتصدُّع مِنَ الضّرَبات المتتاليَة التي يصوِّبها إليه دعاةُ التغريبِ والعَولمة.

فهل من حرّيّةِ الفكر الانقلابُ على المبادئ، واعتناقُ كلِّ فكرٍ مستورَد حتى لو كان إلحاديًّا إباحيًّا لا يقيم للدّين ولا للفضائل والقِيَم وزنًا؟! فسبحان ربي العظيم! كأنّ الحرية لا تأتي إلّا عندَ مهاجمةِ المعتقَداتِ الإسلامية.

إنّه إذا انتشَرَت مثلُ هذه القناعاتِ المريضة فإنّما تدلّ على هزيمةٍ نفسيّة لدى أصحابها، ومتى جاسَت خلالَ صفوفِ ناشئةِ الأمّةِ وأجيالها، فماذا عسَى أن يبقَى للمؤسّسات التربويّة في المجتمع؟! وإلى أين يتّجه مصير التربيّة الإسلامية والوطنيّة التي تحفَظ وَحدةَ الفكر والثقافةِ، ووَحدة النسيجِ الاجتماعيّ المتميِّز كعاملٍ من أهمّ عوامل الأمن الفكري؟!

لقد أوجَدَ الغزوُ الثقافيّ مناخًا يتَّسِم بالصراع الفكريّ الذي يجرّ إلى نتائجَ خطيرةٍ وعواقبَ وخيمة على مقوِّمات الأمّة وحضارتها، وكان من نتيجةِ ذلك أن تُسمَع أصوات تتَعالى عبرَ منابرَ إعلاميّةٍ متعدّدة، تدعو وبكلِّ بجاحةٍ إلى التخلّي عن كثيرٍ من الأمور الشرعية والثوابتِ المرعيّة المعلومَةِ من دين الإسلامِ بالضّرورة، خاصّةً في قضايا المرأة.

آثار الغزو الثقافي على ثوابت ومحكمات الشريعة

لقد شَنّوا الحربَ على الحجاب، وطالبوا بإلغاءِ قوامةِ الرّجل وولايتِه عليها، ودعَوا إلى الاختلاط في التعليمِ وميادينِ العمل بدعوَى الحرّيّة والمساواة، ولقد أسهَم الإعلامُ المفتوح لاسيّما الفضائيّ منه في إذكاءِ نارِ الخلَل الفكريّ، وتفنَّن في جذبِ الأنظار والتأثيرِ على الرأي العام، ممّا جعل أمنَ الأمّة الفكريّ عُرضةً للاهتزاز ومهبِّ الأخطار.

لقد أوحَت هذه الفضائياتُ وشبكاتُ المعلوماتِ للناظرين، وكأنّ هذه الدنيا أصبَحت هدفًا للفوضَى الفكريّة والأخلاقية، ومسرحًا للضّياع في مَباءات الإغراءات الإباحيّة، ممّا لا يحكمه دينٌ ولا قِيَم، ولا يضبِطه خُلُق ولا مُثُل، وقَنوات أخرى لا تفتَأ تُذْكي نار الفتنة بين الرعيّة والرّعاة بدعوَى الإصلاح زعمَوا، وأُخرى بدعوَى الإثارة والبلبَلة تدعو الموتورين إلى أن تكونَ مِنبرًا لهم

حيث لا منبرَ لهم، وهكذا منتدياتُ الفضائح والمثالب والطّعون والمعائب، أوَليس ذلك كلُّه مدعاةً إلى أن تولي الأمّة الأمنَ الفكريَّ جُلَّ اهتمامها؟!

وذلك يكون أولًا وقبلَ كلِّ شيءٍ بتقويَةِ وازِعِ الدّين في النفوس، وإذكاءِ جَذوةِ الإيمان وتقويَته، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

واجب الأمة الاهتمام بالأمن الفكري وطرق حفظه وتثبيته

١- إعزازِ جانب الدّين والكفِّ عن الوقيعةِ في المتديّنين والصالحين.

٢- وإعزازِ جانبِ الأمر بالمعروف والنهيِ عن المنكر، لِما يمثِّله من طوقِ أمانٍ في الحِفاظ على الأمن الفكريّ، ومن يتعرَّف على الجهود المباركة التي تُبذَل في المؤسّسات الدعَويّة والأروقةِ الاحتسابيّة، يجدِ الدورَ الكبير الذي يبذُله دعاةٌ صادقون ومحتسِبون مباركون في الحفاظ على الأمنِ الفكريّ للأمة، ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١] سدّد الله الخطا، وبارك في الجهود، وأخذ بالأيدي إلى مواطن الصلاح والتوفيق، ونفع بالأسباب، وحفِظ للأمّة أمنَها وأمانها عامّة، وأمنَها الفكريَّ خاصّة، إنّه خير مسؤول وأكرمُ مأمول.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولكافّة المسلمين من كلِّ خطيئة وإثم، فاستغفروه وتوبوا إليه، فيا لَفوز المستغفرين، ويا لَبُشرى التائبين.

الخطبة الثانية

حمدًا لكَ اللهمّ حمدًا حمدًا، وشكرًا لك يا الله شُكرًا شكرًا، أحمد ربِّي وأشكره، وأتوب إليه وأستغفِره، وأذكره ذكرًا ذكرًا، وأشهد أن لا إلهَ إلا الله، وحدَه لا شريكَ له، شهادةً ندَّخرها ليوم المعاد ذُخرًا، وأشهد أنّ نبيّنا محمَّدًا عبد الله ورسوله أشرفُ الخليقة طُرًّا، صلّى الله عليه وعلى آلِه وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أمّا بعد:

فاتّقوا الله عبادَ الله، ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]، واعلَموا أنّ أصدقَ الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمّد ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة؛ فإنّ يدَ الله مع الجماعة، ومن شذّ شذّ في النار.

أيها الإخوة في الله: وأبناءُ الأمة وشبابها وطلّابها يدلِفُون إلى عامٍ دراسيّ جديد حافِلٍ بجلائِلِ العلوم والمعارف.

الدور المهم للعلم الصحيح في ترسيخ الأمن الفكري

٣- فإنّه ليس بغنيٍّ عن التذكيرِ بأهمّيّة العلمِ الصحيح في الحفاظِ على أمنِ الأمّة الفكريّ، مع تذكير إخواننا المدرِّسين وأخواتنا المدرِّسات بأهمّيّة الرسالة الملقَاة على عواتِقِهم، في تربيةِ فلَذات الأكباد وثمرَات الفؤاد، والحفاظِ على أمنِهم الفكريّ، ومعالجةِ الانحرافات الفكريّة واللّوثات الأخلاقيّة التي قد توجَد لدى بعضهم.

فالمساجِد والبيوتُ والمدارس ووسائل الإعلامِ، كلُّها قنواتٌ ينبغِي أن تكونَ قِلاع أمنٍ فكريّ وحصونَ أمانٍ توعويّ، تتهاوى أمام قوّةِ رسالتِها وعظيم تأثيرِها سهامُ الخلَلِ الفكريّ.

وضع ضوابط للمطبوعات والمنشورات

٤- كما أنّ الحاجةَ ملحّةٌ إلى وضعِ الضوابط الحازمة للمطبوعاتِ والمنشورات.

٥- والوقوفِ بحزمٍ ضدَّ تيّارات الغلوّ والغلوِّ المضادّ.

٦- وتعويدِ أبنائنا لغةَ الحوار، وإشاعة ثقافةِ التسامُح والوئام، وتَرسيخ منهجِ الوسطيّة والاعتدال.

تعويد المجتمعات على لغة الحوار وثقافة التسامح

٧- لابدّ من العنايةِ بتصحيح المفاهيم، وضبطِ المصطلحات الشرعيّة، وتنقيَتِها مما خالطَها من المصطلحات المغلوطةِ والمشبوهة، والتصدّي لكلِّ دعوات الانفتاحِ غيرِ المنضبط والتحرّر غير المسؤول، والسّير وراءَ مصطلحات الغَير واجترارِها على حساب خصوصيّتنا الثقافيّة ومميِّزاتنا الفكريَة.

ضبط المصطلحات الشرعية

٨- (أ) والدّعوةُ موجّهة إلى كلِّ مَن بوّأه الله للولايةِ واتِّخاذِ القَرار في أيِّ ثَغر من ثغورِ الأمّة إلى الاضطِلاع بمسؤوليّاتهم في ذلك، فلم يعدِ الأمر مسؤوليةَ رجال الأمنِ وحدَهم، بل كلٌّ على ثغرٍ من ثغور الإسلام، فاللهَ اللهَ أن يؤتَى الإسلام من قِبَله.

الإجراءات العملية لحفظ الأمن الفكري وترسيخ بنائه

(ب) لقد آن الأوان أن تقومَ مراكز البحوثِ والدراسات، وأن تُكوَّن هيئاتٌ عليا بمختَلِفِ التخصّصات لرصدِ كلِّ ما يهدِّد أمنَ الأمة الفكريّ، ووضعَ آليّاتِ العمَل المدروسة بالتنسيقِ مع الجهات ذاتِ العلاقة للحِفاظ على أمن الأمة الفكريّ.

الدور العظيم الذي تقوم به المملكة العربية السعودية في حراسة وتعزيز جانب الأمن الفكري

وهنا كلمةُ حقٍّ لابدّ أن تروَى فلا تطوَى، وهي الإشادةُ بالدّورِ الرائد الذي تضطلِع به بلادُ الحرمين - حرسَها الله - في حراسة وتعزيزِ جانبِ الأمنِ الفكريّ في الأمّة، فلها فيه القِدح المعلَّى والفِعلُ المجلَّى، وهي مع ما تواجِهه من زوابعَ وحملاتٍ دعائية ومُعادية مصمِّمةٌ - بإذن الله - على السّير في طريقها، كيف وهي تقِف في خطِّ الدّفاع الأوّل في وجهِ التحدّيات المعاصرة بما تقدِّمُه من صورةٍ مشرِقة عن حضارةِ الإسلام العريقة، على الرّغم من دعاوَى منظّمات حقوقِ الإنسان الزّائفة وتعرُّضها لدعاوَى الإرهاب، إنها ثِقة عالِية بمقوِّمات راسِخة وهويّة واضِحة ترفُض التّبعيّة ولا تستسلِم للضغوطِ، فلا تنسَى الماضي العريق، وتعمَل للحاضِر المشرِق، وتستشرِف آفاقَ المستقبَل الواعِد بإذن الله.

حفِظَها الله وحفِظ بلادَ المسلمين من كيد الكائدين وحِقد الحاقدين، وأدامَ عزَّها وأمنَها منارًا للإسلامِ وقِبلةً للمسلمين ولو كرِه الحاقدون الحاسِدون.

ألا وصلّوا وسلّموا ـ رحمكم الله ـ على الرحمةِ المهداة والنعمة المسداة نبيِّكم محمّد بن عبد الله، فقد أمركم بذلك ربّكم جلّ في علاه، فقال تعالى قولًا كريمًا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهمّ صلّ وسلّم وبارك على سيّد الأولين والآخرين، وخاتم الأنبياءِ والمرسلين، نبيِّنا محمّد بن عبد الله، وعلى آله الطيّبين الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، وأزواجه الطاهرات أمّهات المؤمنين، وعنا معهم برحمتك وكرمك يا أكرم الأكرمين!

ضوابط التكفير

الخطبة الأولى

معالي الشيخ الدكتور: عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس

أمّا بعد: فيا عبادَ الله، العيشُ الوثير والخير الوفير والرزق الكثير، ثمرةُ تقوَى المولى اللطيف الخبير، فاتقوا الله رحمكم الله، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [الحديد:٢٨].

أيّها المسلمون، لا يرتابُ الغيورون على أحوال الأُمَّةِ أنها تعيش زمنَ طوفانِ الفِتن، وأنَّ واقعَها المريرَ يعُجّ بفتنٍ عمياء ودَواهٍ دَهياء، قد انعقد غمامُها وادلهمَّ ظلامُها، غيرَ أنّ هناك فتنةً فاقرة وبليّة ظاهرة، فتنةً امتُحِن المسلمون بها عبرَ التاريخ، فتنةً عانت منها الأمّة طويلًا وذاقت مرارتَها وتجرّعت غُصصَها ردحًا من الزمن، فتنةً طال ليلُها وأرخى سدولَه بشتَّى همومها وناءت بكَلكلِها وغمومها، كم نجَم عنها من سفكِ الدماء وتناثُر الأشلاء وحلَّ جرّاءَها من نكباتٍ وأرزاء، وبالجملة فهي مُحيطٌ ملغوم، ومركَب مثلوم، ومستنقَعٌ محموم، وخطر محتوم، زلّت فيها أقدام وضلّت فيها أفهام، وبالتالي فهي جديرةٌ بالتّذكير، حفيَّة بالتفكير قَمنَة بالتبصير، بله صرخة نذير وصيحة تحذير، حتى لا تتجدَّد فواجعُ الأمّة في العنف والتدمير والإرهاب والتفجير.

صرخة نذير من خطر بعث فتنة العنف والتكفير

أجزمُ ـ يا رعاكم الله ـ أنه لم يعُد يخفى على شريفِ علمكم أنها الظاهرةُ الجديرة بالتنديد والتفكير والمعالجة والتغيير، إنها فتنةُ التكفير، وكفى بها من فتنةٍ تولِّد فِتنًا.

هي محنةٌ لا بل ستغدو منحةً   فضلَ الكريم القادر المنّان

خطورة المسارعة إلى التكفير

إخوةَ الإسلام، المجازفةُ بالتكفير شرٌّ عظيم وخطر جسيم، كم أذاق الأمّةَ من الويلات ووبيل العواقب والنهايات، لا يسارِع فيه مَن عِنده أدنى مُسكة من ورعٍ وديانة، أو شذرة من عِلم أو ذرّةٍ من رزانة، تتصدّع له القلوب، وتفزَع منه النفوس، وترتعِد من خطرِه الفرائص، يقول الإمام الشوكانيّ رحمه الله: «وها هنا تُسكَب العبرات ويُناح على الإسلام وأهلِه بما جناه التعصّبُ في الدين على غالبِ المسلمين، من الترامي بالكُفر لا لسنّةٍ ولا لقرآن، ولا لبيانٍ من الله ولا لبرهان، بل لما غلَت به مراجلُ العصبيّة في الدين، وتمكّن الشيطان الرجيم من تفريقِ كلمة المسلمين، لقّنهم إلزاماتِ بعضِهم لبعض بما هو شبيهُ الهباء في الهواء والسّراب بقيعةٍ، فيا لله والمسلمين من هذه الفاقِرة التي هي أعظمُ فواقرِ الدين، والرّزيةِ التي ما رُزِئ بمثلِها سبيلُ المؤمنين... ـ إلى أن قال رحمه الله: ـ والأدلّة الدالّة على وجوب صيانةِ عِرض المسلم واحترامِه تدلّ بفحوى الخطاب على تجنُّب القدح في دينه بأيِّ قادِح، فكيف إخراجه عن الملّة الإسلاميّة إلى الملةِ الكفريّة؟! فإنّ هذه جنايةٌ لا تعدلُها جناية، وجرأةٌ لا تماثِلها جرأة،

جناية التعصب والتكفير على الإسلام وأهله

وأين هذا المجترِئ على تكفير أخيه من قولِ رسول الله ﷺ: **«المسلمُ أخو المسلم؛ لا يظلِمه ولا يُسلمُه»**[١]، وقوله عليه الصلاة والسلام: **«سِبابُ المسلم فسوقٌ وقِتالُه كفر»**[٢]، وقوله ﷺ: **«إنّ**

(١) أخرجه البخاري في كتاب المظالم رقم(٢٤٤٢)، ومسلم في كتاب البر رقم(٢٥٨٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان رقم(٤٨)، ومسلم في كتاب الإيمان رقم(٦٤) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

دماءَكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام»[1]. انتهى كلامه رحمه الله[2].

إخوةَ الإيمان، لقد جاءتِ النصوصُ الزاجرة عن هذا المرتعِ الوخيم والمسلَك المشين، يقول سبحانه: ﴿فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [النساء:٩٤]، وفي الصحيحين من حديث ابنِ عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قال الرجلُ لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدُهما، فإن كان كما قال وإلّا رجعت عليه»[3]، وفيهما من حديث أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع رسولَ الله ﷺ يقول: «من دعا رجلًا بالكفر أو قال: عدوّ الله، وليس كذلك إلا حارَ عليه»[4]، وعند مسلم: أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «مَن رمى مؤمِنًا بكفرٍ فهو كقتلِه»[5].

زجر النصوص الشرعية عن مجازفات التكفير

وعلى هذا المنهج الناصِع الوضيء سارَ صحابةُ رسول الله ﷺ، خرّج الإمام أحمد والطبرانيّ وغيرهما عن أبي سفيانَ قال: سألتُ جابرًا وهو مجاورٌ بمكّة: هل كنتم تزعُمون أحدًا من أهل القبلة مشركًا؟ فقال: معاذ الله، وفَزِع لذلك، فقال رجلٌ: هل كنتم تدعون أحدًا منهم كافرًا؟ قال: لا[6].

(١) تقدم تخريجه، ص(١١، ٣٩).
(٢) السيل الجرار (٤/ ٥٨٤ – ٥٨٥).
(٣) تقدم تخريجه، ص(٢٠).
(٤) تقدم تخريجه، ص(٢٠).
(٥) تقدم تخريجه، ص(٢٠).
(٦) المعجم الأوسط (٧٣٥٤)، وأخرجه أيضًا أبو يعلى في مسنده (٢٣١٧)، قال الهيثمي في المجمع (١/ ١٠٧): «رجاله رجال الصحيح».

تحذير السلف من مزالق التكفير

وعلى هذا المسلَك المشرِق اللألاء سارَ السلف الصالح رحمهم الله، فوضَعوا لهذا الحكم أصولًا وشروطًا وضوابط، ورسموا له حالاتٍ وموانع، لابدّ من مراعاتها والتثبُّت فيها، وما ذلك إلّا لخطورته ودقّته.

التكفير حكم شرعي

وأهمُّ هذه الضوابط ـ يا عبادَ الله ـ أنّ التكفيرَ حكم شرعيٌّ ومحضُ حقّ الله سبحانه ورسولِهِ ﷺ، يقول الإمام العلامة ابن القيم رحمه الله:

الكفر حقُّ الله ثم رسولِه	بالنصِّ يثبت لا بقول فلان
من كان ربُّ العالمين وعبدُه	قد كفّراه فذاك ذو الكفران[1]

باب التكفير عظمت فيه الفتنة وكثر الافتراق

ويقول الإمام الطحاويّ رحمه الله: «ولا نكفّر أحدًا من أهل القبلةِ بذنبٍ ما لم يستحلَّه»[2]، قال ابن أبي العزّ رحمه الله: «إنّ بابَ التكفير وعدم التكفير بابٌ عظُمت الفتنةُ والمحنةُ فيه، وكثر فيه الافتراق، وتشتّت فيه الأهواء والآراء، وتعارضَت فيه دلائلُهم، فالنّاس فيه على طرفين ووسَط»[3]، ثم قال: «وإنه لمن أعظمِ البغي أن يشهَد على معيَّن أن اللهَ لا يغفر له ولا يرحمه، بل يخلّده في النار»[4].

(١) انظر: النونية لابن القيم (٢٢٥).

(٢) العقيدة الطحاوية، ص(١٩).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، ص(٣١٦).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية، ص(٣١٨).




وقال الغزاليّ رحمه الله: «والذي ينبغي الاحترازُ منه التكفيرُ ما وجد إليه سبيلًا، فإنّ استباحةَ الدماء والأموال من المصلِّين إلى القبلةِ المصرّحين بقول: لا إله إلا الله محمّد رسول الله، خطأ، والخطأ في ترك ألفِ كافرٍ في الحياة أهونُ من الخطأ في سفكِ دمٍ لمسلم»[1]، وقال الإمام النوويّ رحمه الله: «اعلم أنّ مذهبَ أهل الحقّ أنه لا يكفَّر أحدٌ من أهل القبلةِ بذَنب، ولا يُكفَّر أهلُ الأهواء والبدَع وغيرُهم»[2]، ويقول الإمام القرافيّ رحمه الله: «كونُ أمرٍ ما كفرًا أيّ أمرٍ كان ليس من الأمور العقليّة، بل هو من الأمور الشرعيّة، فإذا قال الشارع في أمرٍ ما: هو كفر فهو كُفر»[3].

الخطأ في ترك كافر أهون من الخطأ في سفك دم مسلم

ويقول شيخ الإسلام ابن تيميّة رحمه الله: «فلهذا كان أهلُ العلم والسنّة لا يكفِّرون من خالفَهم وإن كان ذلك المخالِف يُكفِّرهم؛ إذِ الكفر حكمٌ شرعيّ، فليس للإنسان أن يعاقبَ بمثلِه كمن كذب عليكَ وزنى بأهلِك، ليس لك أن تكذِب عليه ولا تزني بأهله، لأنّ الكذبَ والزنا حرامٌ لحقّ الله تعالى، وكذلك التكفير حقُّ الله، فلا يُكفَّر إلاّ من كفّره الله ورسوله»[4].

الحذر من إخراج رجل من الإسلام

وقال الشيخ المجدِّد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «**وبالجملةِ فيجب على كلِّ من نصَحَ نفسَه أن لا يتكلَّم في هذه المسألةِ إلا بعلمٍ وبرهانٍ منَ الله**، وليحذَر من إخراج رجلٍ من الإسلام بمجرَّد فهمِه

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد (٢٦٩)، انظر: فتح الباري (١٢/ ٣٠٠).

(٢) شرح صحيح مسلم (١/ ١٥٠).

(٣) أنوار البروق في أنواع الفروق: (٤/ ١٩٠).

(٤) الرد على البكري (٢/ ٤٩٢).

واستحسان عقله، فإنّ إخراجَ رجلٍ من الإسلام أو إدخالَه من أعظم أمور الدّين، **وقد استزلَّ الشيطان أكثرَ الناس في هذه المسألة»**[1].

وقوع الزلل في مسألة التكفير

الله أكبر، هذا هو ورَعُ السلف في هذا الباب، فكيف يسوغ بعدَ هذه النقول كلِّها لمن لم يبلُغ في مقدار علمهم وفضلهم نقيرًا ولا قطميرًا، أن يتجاسَر على المسارعةِ إلى الحكم بالكفر الصُّراح في حقّ إخوانه المسلمين جملةً وتفصيلًا، عياذًا بالله عياذًا! أوَ ما علِم هؤلاء ما يترتَّب على التسرُّع في التكفير من أمورٍ خطيرة: مِن استحلال الدمِ والمال، ومنعِ التوارُث، وفسخِ النكاح، وتحريم الصلاةِ عليه، وعدَم دفنِه في مقابر المسلمين، مع ما يستوجبه من الخلودِ في النار، والعياذ بالله! إلى غير ذلك ممّا هو مزبورٌ في مظانِّه، فلا جرَمَ بعد ذلك كلِّه أن يقفَ الشرعُ منه موقِفًا صارمًا، يسدُّ الطريقَ على أحفاد ذي الخويصرة وحرقوص بن زهير ومَن خرج مِن ضئضِئهم، ممّن يكفّرون أهلَ الإسلام ويدَعون أهلَ الأوثان، بل يوزّعون صكوكَ جهنّم على الخليقة وهم لا يشعرون، والله المستعان.

الأمور الخطيرة المترتبة على التسرع في التكفير

أمـةَ الإسلام، ومِن الضوابط المهمّة في هذه المسألةِ الخطيرة أنّ المسلمَ لا يُكفَّر بقوْلٍ أو فِعل إلّا بعد أن تقامَ عليه الحجَّة، وتُزالَ عنه الشّبهة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فليس لأحدٍ أن يكفِّر أحدًا من المسلمين وإن أخطأ وغلِط حتى تُقامَ عليه الحجّة وتُبيَّن له المحجَّة، ومن ثبت إسلامُه بيقين لم يزل عنه ذلك بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامةِ الحجة وإزالة الشبهة»[2].

شرط إقامة الحجة وإزالة الشبه

(١) انظر: الدرر السنية (١٣/ ٣٧٥) بتصرف.

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٦٦).

التفريق بين الفعل والفاعل والإطلاق والتعيين

ومِن الضوابطِ أنه يجب التفريق بين الفِعل والفاعل والإطلاقِ والتعيين، وتنزيل النصوص على الوقائِع والأشخاص، جاء في مجموع الفتاوى ما نصُّه: «فإنّ نصوصَ الوعيد التي في الكتابِ والسنة، ونصوصَ الأئمة بالتكفير والتفسيق ونحو ذلك، لا تستلزم ثبوتَ موجبِها في حقِّ المعيَّن إلَّا إذا وُجِدت الشروط وانتفَت الموانِع، **لا فرقَ في ذلك بين الأصول والفروع**»[1].

الكفر نوعان

- **ومنها أنَّ الكفرَ نوعان:** أكبر وأصغر، اعتقاديّ وعمليّ، وهذا ممّا التبس على كثيرٍ ممّن يتراشقون بالتكفير، فغفلوا عن الجمع بين النصوص والمنهجِ الصحيح فيما ظاهره التعارضُ.

التفصيل في مسألة الحاكمية

ولهذا ذهَب جماهير العلماءِ سَلفًا وخلَفًا إلى التفصيل في قضيّة الحاكميّة، وهو مذهبُ حَبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما حيث يقول رضي الله عنهما: «ليس بالكفرِ الذي يذهبون إليه، وإنما هو كفرٌ دون كفر»[2]، وإليه ذهب الطبريّ، وابن كثير، والقرطبيّ، وعِكرمة، ومجاهد، وعطاء، وطاووس، والزجّاج، والآجريّ، وابن عبد البرّ، والسمعانيّ، والجصّاص، وأبو يعلى، وأبو حيّان، وابن بطّة، وابن عطيّة، وابن الجوزيّ، وشيخ الإسلام، وتلميذه ابن القيم، وأئمة الدعوة، والمحقّقون قديمًا وحديثًا.

أهمية الجمع بين النصوص

وعدَّ أهلُ العِلم أربعَ حالاتٍ في هذه المسألة على تفصيلٍ نفيس يحقّق الجمعَ بين النصوصِ، ممّا يؤكّد الإجماعَ على براءةِ أهل السنة من تكفير عُصاةِ الأمّة، مع أنّ وجوبَ الحكم بما أنزل الله لا يتمارى

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٧٢).

(٢) أخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٥٦٩) والطبري في تفسيره (٦/ ٢٥٦)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ٢٠)، وصححه الحاكم (٣٢١٩).

منهج السلف في النظر و الاستدلال

فيه مسلمان، وكلُّ مُسلِّم للحُكم بغير الشريعةِ من القالين، بيدَ أنَّ هذا الجُرمَ المستبين لا ينبغي أن يُخرجنا لحماسةٍ مشبوهةٍ وعاطفة جيّاشةٍ عن قواعدِ أهل العِلم والإيمان، وأصولِ أهل السنة والقرآن، ومنهجِ السلف في النظرِ والاستدلال، وماذا بعد الحقّ إلا الضلال؟!

لازم القول

ومن الضوابطِ في هذه المسألة أنّه لا يُكفَّر باللوازِم من الأقوال، ولا يُعتبَر بما تؤول إليه مِن أفعال، يقول الإمام الشاطبيّ رحمه الله: «مذهبُ المحقِّقين من أهلِ الأصول أنَّ الكفرَ بالمآل ليسَ بكفرٍ في الحال»[1]، وقال الحافظ ابن حجر: «إنَّ الذي يُحكَم عليه بالكفر مَن كان الكفرُ صريحَ قوله، وكذا من كان لازمَ قوله وعُرِضَ عليه فالتزمَه، أمّا من لم يلتزمه وناضَل عنه فإنّه لا يكون كافرًا ولو كان اللازم كفرًا»[2].

لا تكفير إلا بدليل وبرهان

وأخيرًا - يا رعاكم الله - فإنّه لا يكفَّر إلَّا من أجمع أهل الإسلام على تكفيره أو قام على تكفيرِه دليلٌ لا معارِضَ له، حكاه ابن عبد البرّ وابن بطّال وشيخ الإسلام ابن تيمية والإمام المجدِّد محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله إذ يقول: «ولا نكفِّر إلَّا ما أجمع عليه العلماء كلُّهم»[3].

العذر بالجهل والتأويل

مع أنَّ من مسلَّماتِ هذه القضيّة العلمَ بأنَّ هذا العملَ كفرٌ، فالجاهلُ لا يكفَّر حتى تقومَ عليه الحجّة، يقول الإمام أحمد في الجهمية: «لو قلتُ قولَكم لكفرتُ، ولكنِّي لا أكفِّركم لأنّكم عندي

(١) الاعتصام: (٢/ ١٩٧).

(٢) انظر: فتح المغيث (٢/ ٦٩).

(٣) انظر: الدرر السنية (١/ ٦٥).

موانع التكفير

جُهّال»[1]، ويقول شيخ الإسلام: «وهذا المتأوِّل ينبغي إقامةُ الحجّة عليه أوّلًا وإظهارُ خطئه وإعلامُه بالحقِّ، كما ينبغي أن تُعلَمَ الموانِع المانعةُ من التكفير، ومنها الجهلُ والخطأ والإكراه، قال تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ [النحل:١٠٦]، ومنها التأويل السائغ؛ ولهذا اتّفقَ الصحابة رضي الله عنهم على عدَم تكفير من استحلُّوا الخمرَ لوجود الشبهةِ لديهم، وهي تأويلُهم قولَ الله عز وجل: ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ﴾ الآية [المائدة:٩٣]».

براءة الإسلام من مسالك أهل التكفير والتدمير

وبعدُ: أيها المسلمون، فإنّ الغُيَّر حينما يبيِّنون خطورةَ المجازفةِ في التكفير، ويذكرون شروطَ التكفير وضوابطَه فإنهم، يُعلِنون للعالَم بأسرِه أنّ الإسلام بريء من هذا المعتقَد الخاطئ، وأنّ ما جرى في بلادِنا المحروسَة ويجري في بعضِ بلاد المسلمين من سَفك الدماء المعصومة، وإزهاقِ الأنفس البريئة، وأعمال التفجير والتدمير والتخريب والإفساد والإرهاب، لهُو من الأعمال الإجراميّة المحرّمة، ولا يجوز أن يُحمَّل الإسلام وأهلُه المعتدلون جَريرةَ هذه الأحداث التي هي إفرازُ فِكرٍ تكفيريّ منحرف، ممّا تأباه الشريعة السّمحةُ والفِطر السليمة والعقول المستقيمة، والله المسؤول أن يصلحَ حالَ الأمّة ويكشفَ عنها كلَّ غمَّة، وأن يوفِّقَ الجميعَ لما يحبّه ويرضاه، ويهديَهم لما اختُلف فيه من الحقِّ بإذنه، إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

نفعني الله وإيّاكم بآي الكتاب وبسنّة النبيّ الأوّاب، أقول قولي هذا، وأستغفِر الله العظيمَ الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كلّ ذنب، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنّه كان للأوّابين غفورًا.

---

(١) قال نحوه ابن تيمية في الحلولية والنفاة، انظر: الرد على البكري (٢/ ٤٩٤).

الخطبة الثانية

الحمدُ لله، يقول الحقَّ وهو يهدي السبيل، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، هو حسبُنا ونعم الوكيل، وأشهد أنّ نبينا محمّدًا عبد الله ورسوله، المبعوث بكلّ خلُق جميل وفعلٍ نبيل، صلّى الله عليه، وعلى آله المثنَى عليهم بمحكَم التنزيل، وصحبِه ذوي المكانةِ والتفضيل، وسلِّم - يا ربِّ - تسليمًا كثيرًا.

أمّا بعد: فاتقوا الله عباد الله، ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]، وعليكم بالجماعة فإنّ يدَ الله مع الجماعة، ومن شذّ شذّ في النار.

أيّها الإخوةُ في الله، حينما يهيجُ الهوَى في النفوس وتُعرِض عن نورِ الوحي والنصوصِ تُصاب بسُكرٍ أشدَّ من سُكر الكؤوس. وإنّ ظاهرةَ الغلوّ في التكفير والاعتساف لهي من أخطرِ ما بُليت به الأمّة فحوّلها إلى إسرافٍ في أطراف.

بدء فتنة التكفير ومنتهاها

لقد بدأت هذه الفتنةُ بحَرب كلام، وانتهت إلى استحلال الدم الحرام، وزاد شططُها حينما حُمِل السلاحُ في وجه الأمّة، وأذكِي أُوارُها حينما برزت في صورةِ فتاوَى تكفيريّة تحريضيّة، تلقّفها حُدثاء الأسنان سفهاء الأحلام، فسلكوا مسالكَ أهل البغيِ والإجرام، فهل بعدَ هذا يسَعُ السكوتُ من أهل الإسلام؟!

لقد كان الغيورُ على أبناءِ أمّته يرى خِلَال الرمادِ وميضَ نارٍ، وأنَّ الحربَ أوّل ما تكون فتيّةً، واليومَ نرى الأمرَ أمرًا منكرًا، فما زال الفِكر التكفيريّ يسري بقوّةٍ في صفوف شبابِ الأمة الذين نظر

النظرة السوداوية تقود إلى الغلو

بعضُهم إلى المجتمعات نظرةً سوداويّة قاتمة، وأنّه لا مَخرجَ من المِحَن والبلايا التي رُزئت بها الأمّة إلا بالتكفير ثم التفجير والتدمير.

ومما يزيد الأسَى ما يُرى من تسرُّب هذه اللوثةِ الخطيرة إلى بعضِ شباب الأمّة، ويعظُم الأمرُ حينما يكون الحكم بالتكفيرِ جزافًا على وُلاةِ أمر المسلمين، ومَن بايعهم على الكتابِ والسنة من العلماء الربانيّين، فرُموا بالعَمالة والمداهَنة، بل لقد سَرى الخطَر إلى عوامّ المسلمين وناشئتهم.

من أسباب لوثة التكفير: التزهيد في العلماء وضعف الدراية بمقاصد الشريعة

وممّا مدّ في أجل هذا الفكرِ المتهافِت وبسَط رواجَه، هو التقصيرُ في التصدّي له وذكرِ أسبابه، والتي من أهمِّها ضحالةُ العِلم وقلّةُ الفهم والخطأ في منهجيّة الطلَب والتحصيل، فلم يُؤخَذ العلم عن أهلِه المعروفين، بل زُهِّد فيهم، وأُفقِدتِ الثقةُ بهم، مع عدَم الدراية بمقاصِد الشريعة وقواعدِ الفقه ورعاية المصالح العليا في الأمّة، والتعلُّق بشُبَه ومتشابهات، مع تركٍ للنصوصِ المحكمات الواضحات، إضافةً إلى ما يعُجُّ به واقِع الأمّة من صُورٍ من الظلم والاضطهاد، غيرَ أنَّ ذلك ليس مُسوِّغًا للخطأ، فالعُنف لا يعالجُ بالعُنف، وإذا كان المصلِحون يرونَ الأمّة ممزّقةً، والممتلكات مغتصَبة، والمقدَّسات مستلَبة، فهل المخرَجُ من هذه الرزايا بتكفير الوُلاة والخروجِ على الجماعة وحمل السلاح في وجه الأمة؟! ألا يفيق هؤلاء؟! ألا يعتبِرون بمن حَولهم؟! ألم يقرؤوا التاريخَ ليدركوا كم أضرَّ هذا الفكرُ بالأمّة وصدّها عن دينها وخوّف شبابها من التمسُّك بالسنة والتزام الشريعة؟! ماذا قدّم هذا الفكر الأحاديّ للأمّة؟! وماذا أثمرَ في مسيرةِ الدعوةِ والعملِ الخيريّ والإصلاحيّ؟!

العبرة بما سبَّبه هذا الفكر المنحرف من الأضرار

فاللهمَّ غُفرًا غفرًا، أفلا يَسَع هؤلاءِ ما وسِع أنبياءَ الله ورسلَه وصحابةَ رسول الله ﷺ والسلفَ الصالح ومن تبعهم بإحسان، فشغلوا أنفسهم تعلُّمًا وتعليمًا ودعوةً وإصلاحًا؟!

أيها الإخوةُ في الله، أمّا العلاجُ فبالعِلم العِلم، وبالفهم الفهم، وبالحِوار الحوار، حتى لا تخرب الديار، ويحلّ الدّمار، ويلحَق بالأمّة العارُ والشّنار، وما أشبهَ الليلةَ بالبارحة، فلقد كفَّر أسلافُ هؤلاء خيارَ هذه الأمة من صحابة رسول الله ﷺ، رضي الله عنهم وأرضاهم، وجازى من كفّرهم وعاداهم بما يستحقّ دنيا وأخرى.

علاج هذه الفتنة

وهنا لابدّ من التأكيد على أنّ الناس في هذه القضيّة طرفان ووسَط، فأهلُ السنّة والجماعة وسطٌ بين الخوارج والمرجِئة، وكما عانتِ الأمّةُ من فِكر التكفير، عانت من الإرجاء والتأخير؛ ولهذا وضَع أهلُ العلم بابَ الردّة ونواقض الإسلام، غيرَ أنّه لابدّ أن يتصدَّى لذلك ذوو العِلم والبصيرة.

لا إفراط ولا تفريط

وطالَب بعضُ المنهزمين فكريًّا بتمييع الدين وذوَبان الشريعة بدعاوي فجّة، ونسبوا إلى مناهج التعليم الشرعيّة النقصَ والثَّلب، لا بلَّغهم الله ما يرومون!

والدعوةُ موجَّهةٌ بحرارةٍ إلى شباب الأمّة لليقظَة والانتباه وأخذِ الحذر من كلِّ انحرافٍ فكريّ يجانب منهجَ الوسطية والاعتدال.

نداء للشباب

والنداءُ موجّهٌ إلى شبابِ بلاد الحرمين الذين نشؤوا على صحّةِ المعتقد والسنّة، ومنهج أئمة الدعوة الإصلاحيّة المباركة، أن يحذَروا اللوثاتِ الفكريّة المنحرِفة، وأن يثبُتوا على منهجهم الصحيح رغم التحديات والمتغيِّرات، وأن يلتحِموا بولاتهم وعلمائهم، وأن يحذَروا من أن يُستغَلّوا أو يستهدَفوا ويُستفزُّوا، بأفكارٍ دخيلةٍ أو مناهجَ هزيلة.



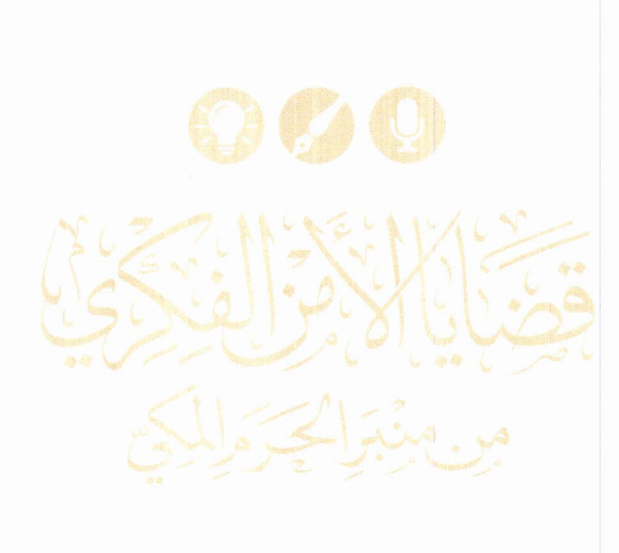

التعميم خلل في الفكر

وإلى المصطادين في الماء العَكِر المستغلين كلَّ هفوةٍ من بعض الأخيار والصالحين، أن كُفُّوا عن تعميم الأحكام، وعلى رسلِكم عن الوقيعة في شبابِ الإسلام، فوالله لن تصلُحَ حالُ الأمّة إلا بالقيام بأمرِ الدين ونُصرة حَملتِه، والذبِّ عن أعراض الصالحين المصلحين والدعاة الصادقين، وإعلاءِ رايةِ الحِسبة والدعوة إلى الله عز وجل بالحكمة والموعظة الحسنة.

ويعلم الله الذي لا إلهَ غيرُه أنّ ذلك عينُ النُّصح للأمّة والسعي في براءةِ الذمّة، وإن شرِق بذلك أناسٌ وطار فرحًا آخرون، فليس يخلُو المرء من قَدحٍ ومَدح وإن كان أقومَ من قِدح، لكن العزاء الانتصارُ للحقّ بدليله وإن سخِط الناسُ كلُّ الناس، وحسبُنا أنه محضُ النصيحةِ الموافِقة للنصوص الصحيحة والنقولِ الصريحة، ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

ألا وصلّوا وسلِّموا ـ رحمكم الله ـ على الرحمةِ المهداة والنعمة المسداة، كما أمركم بذلك ربكم في علاه، فقال تعالى قولًا كريمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على سيّد الأولين والآخرين، نبينا محمد بن عبد الله، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأزواجه أمّهات المؤمنين، وصحابته الغرّ الميامين، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.


قضايا الأمن الفكري
من منبر الحرم المكي

تشديد النكير على التفجير الحقير

الخطبة الأولى

معالي الشيخ الدكتور: عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس

أمّا بعد: فإنَّ أعظمَ الوصايا وصيّة ربِّ البرايا، فاتّقوا الله رحمكم الله، فإنّ تقوى الله أمانٌ من البلايا وحصنٌ من الرزايا، بالتقوى أمنُ الديار، وحِفظ الذِّمار، وهَناء العَيش والاستقرار وكَثرة الخيرات واستجلابُ البركات، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف:٩٦]، وبها النجاة فوقَ الأرض وتحتَ الأرض ويومَ العرض.

نعمة الأمن تاج على الرؤوس يعرفه العقلاء!

أيها المسلمون، تاجُ أعالي الرؤوس ومطلَب كبار النفوس ليس في مادّيّات تزول وتنتهي، ولا في شَكليات تضمحلّ وتنقضي، ولكنه في أمرٍ عظيم يرومُه الأفراد والمجتمعات، وتتطلّع إليه الدوَل والحكومات، وتُبنى على قواعدِه الأمجادُ وتُشاد الحضارات، وتتحطّم على صخرتِه الشمّاء المكائد والمؤامرات، ذلكم ـ يا رعاكم الله ـ هو مطلبُ الأمن.

الأمن قوام الحياة

معاشرَ المسلمين، لا يختلِف اثنان ولا يتمارَى عاقلان أنّ هاتِفَ الأمنِ والأَمان وهاجِسَ الاستقرار والاطمِئنان، هو المرامُ النبيل الذي تنشده المجتمعات البشريّة، وتتسابَق إلى تحقيقِه السّلطاتُ العالمية بكلّ إمكاناتها المادّية والفكرية؛ إذ هو قِوام الحياة الإنسانيّة وأساسُ أمجادها المدنيّة والحضارية، بل حتى الطيور في أوكارها والبهائم في زرائِبها لتبحث عنه وتسعَى إليه، وهل يُرى الوَجِل المذعُور إلّا خائفًا

يترقّب غيرَ متلذِّذٍ بعبادة ومنام، أو متهنِّئٍ بشراب وطعام، فضلًا عن المشاركة في التنمية والبناءِ والتفرُّغ للإعمار والإبداع والنّماء، حفاظًا على المكتسبات وتحقيقًا لأفضل الإنجازات.

حقيقة الأمن وفضله

إخوةَ الإسلام، الأمنُ ضدُّ الخوف، ويعني الحفاظَ على البلاد والعبادِ في أمور المعاشِ والمعاد، وذلك بحفظ دينهم ونفوسهم وعقولهم وأعراضِهم وأموالهم، وقد امتنَّ الله بالأمن على عباده فقال سبحانه: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ [قريش:٣ - ٤]، وفي دعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ [البقرة: ١٢٦]. وتأمّلوا ـ يا رعاكم الله ـ تقديمَ الأمن على الرزق لأهمّيّته وضرورته.

وإذا اختلَّ فسطاطُ الأمن وزُعزِعت أركانه واختُرِق سياجه واضطربَت ظلالُه الوارِفة، فلا تسأل عمّا وراء ذلك من الفتَن والفسادِ الكبير، فالدين مغتلَبٌ، والنفس تُستلَبُ، والعقلُ والمال منتهبٌ، والعِرض مغتصَب، ولا حولَ ولا قوة إلا بالله.

إخوةَ العقيدة، الأمنُ بمفهومه الشامل هو انتظام أمور الدين والدنيا.

وما الدينُ إلا أن تقامَ شعائر ... وتـؤمَن سبلٌ بيننا وشِعاب

زعزعة الأمن فساد وطغيان

والأمن والإيمان قرينان متلازمان، ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢].

إنَّ أيَّ فِعلٍ أو تصرّف أو دعوةٍ لزعزعةِ أمن المجتمع تُعدّ جريمةً كُبرى وجنايةً عُظمى على الأمّة، وضربًا من ضروب الظّلم والبغي والعدوان، وصورةً من صُوَر الكيدِ والفساد والطغيان، والله عز وجل



يقول: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ [الأعراف:٥٦]، ويقول سبحانه: ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴾ [البقرة:٢٢٠]، ويقول تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس:٨١]، ويقول سبحانه: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [البقرة:٢٠٤-٢٠٦].

يؤكّد ذلك ـ أيها المسلمون ـ في الوقتِ الذي عظُمت فيه الفتنة بسفكِ الدماء، وقتل الأبرياء، وتناثُر الأشلاء، وإثارة الفتَن العمياء، وتواصُل حَلَقات الإفسادِ والتكفير، واستمرارِ مسَلسَل التفجير والتّدمير، وغور الجراحات النازفة التي طال أمدُها فعسُر اندمالُها، حتى إنَّ الغيورَ ليرى فتنةً ذرّت بقرنها ورفعَت عيرتها، فتنةً هاجت وباضت وفرّخت، ولو تُركت صارت إليها فراخُها.

أمّةَ الإسلام، أمّةَ الأمنِ والإيمان، ولقد فُجِع كلُّ ذي دينٍ ومروءَة، بل كلّ ذي عقلٍ وإنسانيّة بالعمل الجبانِ الإجراميّ، والفِعل المُسِفّ التخريبيّ، والتصرّف الأرعَن الإرهابيّ، الذي حدَث مؤخّرًا في مدينة الرياض، رياضِ المجدِ والأصالة، ونجدِ التّوحيدِ والحضارة، حاضرةِ ديار الإسلام، وعاصمةِ بلادِ الحرمين الشريفين حرسها الله، فلا يرتابُ العقلاء ولا يتمارى الشّرفاء أنَّ ما حدث يُعدّ جريمةً شنعاء، وفِعلة نكراء، لا يُقِرّها دين ولا عقلٌ ولا منطقٌ ولا إنسانية، وهي بكلّ المقاييس أمرٌ محرّم وفعلٌ مجرّم وتصرّف مرذولٌ مقبوح وعملٌ إرهابيّ مفضوح وسابقةٌ خطيرة ونازلةُ شرٍّ مستطيرة، فإنَّ كلّ عملٍ تخريبيّ يستهدِف الآمنين، ويروّع المسلمين الوادعين مخالفٌ لشريعة ربّ العالمين.

حادث التفجير

وإذا كان هذا الحكمُ عامًّا في كلّ زمان ومكان، فكيف إذا كان في بلاد الحرمين، ومهبط الوحي ومنبَع الرسالة، ومَهد الإسلام، وموئِل العقيدة، ومأرز الإيمان، ومعقِل السنة والقرآن، وقِبلة المسلمين ومحطِّ أنظارهم ومهوى أفئدتهم، بل العُمق الدينيّ والعقديّ، والبعد الاستراتيجيّ والثِقَل الدولي في الأمّة، بل في العالم أجمع؟!

وكيف إذا كان المستهدَفون مسلمين معصومين وأبرياء وادعين مواطنين ومقيمين ؟!

مفاسد التفجير والتدمير

إنه لأمر مؤلمٌ حقًّا ومؤسِفٌ صِدقًا، يعجز البيان ويرجف الجنان ويضطرب البَنان في رسم هولِ وفظاعة المشهَد والتصوير، ودِقّة الدلالة والتعبير، الذي سطّره بمدادٍ قاتمة وأحرُف كالحة، محترفو هذه الجريمةِ البشِعة، فكم من أنفسٍ مسلمة بريئة أُزهقت، وكم مِن نفوس مؤمنة رُوّعت، وكم من أموال وممتلكاتٍ أُتلفت، لم يرحَم هؤلاء المجرِمون المخرِّبون طفلًا ولا شيخًا ولا امرأة، لم يراعوا أيَّ قِيَم دينيّة وأخلاقية، ولم يبالوا بشرعٍ ولا عقلٍ ولا إنسانية، فوا عجبًا لهم، أَقُدَّت قلوبهم من صخر، أم رُميت عقولهم في بحر؟!

وعيد الاعتداء على النفس المعصومة

أين يذهب هؤلاء القتلةُ المجرِمون من قوله سبحانه: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٣] ؟!

ألم تقرَع أسماعَهم نصوصُ الوعيد والتهديد والترهيب عن مِثل هذه الجرائم المروّعة التي هي قرينةُ الإشراك بالله، بل حتى في ترويع المسلم والإشارة إليه بالسلاح؟! أين هم من قوله عليه الصلاة



والسلام: «إنَّ دماءَكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام»[1]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «أوّلُ ما يقضَى بين الناس في الدماء»[2]، وقوله ﷺ: «لا يزال المسلم في فسحةٍ من دينه ما لم يصِب دمًا حرامًا»[3]، قوله ﷺ: «لزوال الدنيا أهونُ عند الله مِن قتل رجل مسلم» خرجه الترمذي والنسائي وغيرهما[4]؟!

تشديد النصوص على أهمية حفظ الدماء

أين يذهب هؤلاء من شهادة «أن لا إله إلا الله» إذا جاءت تحاجُّهم يوم القيامة؟! كما في الصحيح من حديث أسامة رضي الله عنه، وفيه أن رسول الله ﷺ قال له: «أقتلتَه بعد أن قال: لا إله إلا الله؟!» وغضِب عليه الصلاة والسلام واحمرّ وجهُه كأنما تفقأ فيه حبُّ الرّمّان وهو يقول لأسامة: «أقتلته بعد أن قال: لا إله إلا الله؟!» قال: يا رسول الله، إنما قالها تقيَّةً. أي: خوفًا من القتل، قال: «أشققتَ عن قلبه؟! كيف تصنعُ - يا أسامة - بلا إله إلا الله إذا جاءت تحاجُّك يوم القيامة؟!» قال رضي الله عنه: فوددتُ أني لم أكن أسلمتُ يومئذ[5].

الله أكبر، هذا فهمُ الصحابة الأبرارِ والسلف الأخيار لحرمةِ الدماء المعصومةِ وحرمة قتلِ المرء نفسَه، والرسولُ عليه الصلاة والسلام يقول: «من قتل نفسَه بحديدةٍ فحديدته في يده يجأ بها بطنَه في نار جهنم خالدًا مخلَّدًا فيها أبدًا» خرَّجه الشيخان[6].

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم رقم (٦٧، ٦٣٩)، ومسلم في كتاب القسامة رقم (١٦٧٩) عن أبي بكرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في الديات (٦٨٦٤)، ومسلم في القسامة (١٦٧٨) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) تقدم تخريجه، ص(٢٧).

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب الديات رقم(١٣٩٥)، سنن النسائي في كتاب تحريم الدم (٣٩٨٧)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وأشار الترمذي إلى أن وقفه أصح من رفعه، ورجَّح وقفه أيضًا البيهقي في الكبرى (٨/ ٢٢)، وصححه الألباني في غاية المرام (٤٣٩).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الديات رقم(٦٨٧٢)، ومسلم في كتاب الإيمان رقم(٩٦) بمعناه.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الطب رقم(٥٧٧٨)، ومسلم في كتاب الإيمان رقم (١٠٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

نابتة العصر

فإلى الله المشتكى! إلى الله المشتكى من نابتةٍ أغرار وشِرذمة أشرار، حُدثاء الأسنان، سُفهاء الأحلام، ركبوا رؤوسَهم، وافتاتوا على ولاة أمرهم وعلمائهم، وهاموا زهوًا وتِيهًا وغرورًا، فأحدثوا فِتنًا وفواجعَ وشرورًا.

دناءة جحود النعمة

وبكلّ مرارةٍ وأسى إنهم أبناؤنا بغَوا علينا، وشبابُنا خرجوا علينا، وخرقوا سياجَ أمّتنا ووحدة بلادنا، سيّاراتٌ مفخّخة، وشاحنات مشرَّكَة، كفى بهم لؤْمًا ودناءة أن ينشؤوا على ترابها ويأكُلوا من خيراتها، ثم يقلِبوا لها ظهرَ المجَنّ نسفًا وتدميرًا وتخريبًا وتفجيرًا.

لقد بلغ السيلُ زُباه، وجاوَز الظلمُ والطغيان مداه، ووصل الأمر منتهاه، وذرفتِ الدُّموع السِّجام، وأُميط اللّثام عن خفافيشِ الظلام، وبرِح الخفاء، واتَّضح الأمر بجلاء عن هذا الفِكر الأُحاديّ المنحرف، والنظرِ الانشطاريّ المجترِف!

لقد أوسعونا من الفوضى والتخريب والعبَث، فجزاؤهم أن يُنفَوا كما يُنفَى الخبَث، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله فيهم وفي أسلافهم: «وهذا الضّرب من الناس من أغربِ أشكال بني آدم، فسبحانَ من نوّع خلقَه كما أراد»[1].

فيا ويحَ هؤلاء، ألا يفيقون؟! ألا يرجِعون ويرعَوون؟! أبعدَ كلِّ هذا يبقَى مجالٌ للتبريرات وتلمُّس التأويلات وحمّالةِ الأوجه عن الشُّبَه والإشكالات؟! كلاّ وألفُ كلا!

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٨٦)، ويُرجع للكلام بتمامه في موضعه فهو نفيس ودقيق.

سَـــبَكناه ونحسِـــبه لُجينًـــا فبـان الكـير مـن خبَـث الحديـد[1]

لقد بدأت ضلالةُ القوم بدعاوى تلتبس على الدّهماء من قِتال غيرِ المسلمين، ومَع أنّ هذا لا يجوز في بلاد المسلمين لأنهم من المعاهَدين والمستأمَنين، فكيف يُقال اليوم والمستهدفون أبرياء مسلمون مواطنون ومقيمون؟!

إخوةَ الإسلام، إخوةَ الإيمان، لقد وصل الإجرامُ ذروتَه باستهدافِ فِئةٍ عزيزة علينا، هم عيوننا الساهرة، وليوث عريننا الكاسِرة، فئةٍ تسهَر لينام الناسُ، وتتعَب ليستريح سائرُ الأجناس، إنهم رجالُ أمننا البواسل وجنود بلادنا الأشاوس!

الاعتداء على المجاهدين من رجال الأمن البواسل

فيا رجال أمننا، هنيئًا لكم شرفُ خدمةِ دينكم وعقيدتكم وبلادكم ومقدّساتكم، والذود عن حياضكم وأوطانكم ومقدّراتكم.

اللهَ اللهَ في الإخلاص والتفاني والتضحيةِ واليقظةِ والاهتمام، ولا تَفُتَّنَّ في عضدِكم تلك التصرفاتُ الرعناء والأفعال الحمقاء، فليس لها بعدَ الله إلا أنتم، قلوبُنا معكم، والدعاء مبذولٌ لكم، والمجتمع بأسرِه مَدين لكم بالتقدير والعِرفان والشكر والامتنان على جهودكم المتميِّزة في حفظِ الأمن والأمان، والسَّهَر على خدمة الآمنين.

(١) البيت في عيون الأخبار: (٢/ ٧)، والعقد الفريد: (٤/ ٤٣) دون نسبة.

واجـــب المجتمع تجاه هذه الفـئـة الضـالـة

والدعوةُ موجَّهةٌ لكلّ مسلمٍ أن يكونَ عونًا لرجال الأمن في أداء مهمّتهم العظيمة، فكلٌّ على ثغرٍ من ثغور الإسلام، فاللهَ الله أن يُؤتى الإسلام من قِبله.

يجب على جميعِ أفراد المجتمَع أن يكونوا عيونًا ساهرةً في الحفاظ على أمنِ هذه البلاد والإبلاغ عن كلّ متورّطٍ أو داعمٍ لهذه الأعمال الإجراميّة والأفعال التخريبية، حفاظًا على سفينة المجتمع من قراصنة العُنف والإرهاب، وسماسرة التخريب والإرعاب، فلم يعُد يُجدِي الصمتُ والتغاضي، لابدّ من الحزم في اجتثاث جذوره والقضاء على جرثومته القاتلة.

عـــزاء ومواساة

وعزاؤنا المخلِص ودعواتنا ومواساتُنا الصادقة لولاة أمرنا وفّقهم الله، ولذوي المتوفَّين مِن رجال الأمن والمواطنين والمقيمين، رحم الله أمواتهم، وكتبهم في عِداد الشهداءِ الأبرار، وبوّأهم منازلَ الصديقين والأخيار، وعجّل بشفاءِ مرضاهم ومُصابيهم وجَرحاهم، ولا أرى البلادَ والعباد أيَّ سوء ومكروه، وحفِظ الله لبلادنا المباركةِ أمنها وإيمانها، فلن تزيدَها تلك الأعمال الإجراميّة بحول الله إلا تماسُكًا وثباتًا والتفافًا حول قيادتها وعلمائها، وشاهت وجوهُ المجرمين المعتدين، ولتهنأ بلادُ الحرمين، ولتبقَ دائمًا وأبدًا شامةً غرّاء وصخرةً شمّاء، تتهاوى أمام صلابتها سهامُ المغرضين المعتدين والأعداء، ونصالُ الحاسدين والحاقدين الألدّاء.

مفاسـد التفـجـير وتشويهه للإسـلام

" كفى تشويهًا للإسلام دينِ الرّفق والسماحة والإصلاح والتعمير، لا العنفِ والتدمير والتفجير!

" كفى تشويهًا لصورة الجهاد الشرعيّ ذروةِ سنامِ الإسلام بمثل هذا التخريب والإفساد والإجرام!




كم من مصالحَ للأمة قدّمها هؤلاء؟! وكم من مكاسبَ للأعداء حقّقها هؤلاء، وكم تضرَّر الدين والمتديّنون والدعوةُ والدعاة والحسبة والأعمال الخيريّة بسبب هذه التصرّفات الرعناء.

والدعوةُ موجَّهةٌ لجميع أبناء الأمةِ - والأمّة تمرّ بمنعطفٍ خطير - إلى الالتفافِ حولَ الولاية الشرعية، وتفْويتِ الفُرص على كلّ مفسدٍ مأفون، والعملِ على إعزاز جانب الدين وأهلِه والدعوةِ وشُداتها والحسبة ورجالاتها، والإصلاح الشاملِ في كلّ مرافقِ الحياة.

وصَرخةُ نذير وصيحةُ تحذير لشبابنا وأحبابنا بعدَم الاغترار بهذه المسالك، والأخذ من العلماء الربانيّين في هذه الظروف الحوالك، وسلوكِ مسلَك الوسطيّة والاعتدال، والحذر كلَّ الحذَر من فتاوى أهل الكُنى المجاهيل، والانجراف خلفَ دعايات الأغرار المهازيل.

لابدّ من حراسة الأمن بكلّ صوَرِه، لاسيّما الأمن الفكريّ أمام الأفكار المنحرفة والتيّارات الضالّة، سواءً في جانب الغلوّ والعنف والفِكر التكفيريّ، أو التغريبيّ والعولميّ، وهنا يأتي دورُ البيت والأسرةِ والمسجد والمدرسة ووسائل الإعلام، حتى يسلَم العباد وتأمن البلاد.

ويعلمُ الله الذي لا إله غيرُه أنّ ذلك عينُ الشفقَة والنُّصح للأمّة وبراءة الذمّة والقيام بمتطلَّبات الديانة، ورعاية الكلمةِ والأمانة، في وقتٍ كثُرت فيه الأهواء، وتعدّدت الآراءُ والحكمُ على النيات والمقاصد والتصنيفُ وسوءُ الظنّ بالمسلمين، والله المستعان.

بـــه ألقـــى الإلـــهَ ولا أبـــالي	وإن سَــلقوا بألســـنةٍ حـــدادِ
فـــذا فعـــلُ النبـــيِّ فـــلا تدَعـــه	لإرضـــاءِ الصـــديق ولا المعـــادي

تضـرر المصالح وتراجعها وحصول المفاسد بسبب التصرفات الرعـنـاء

الدعـوة إلـى الالتفاف حول ولاة الأمـر

العـلـم ديـن فـلا يؤخذ على المجاهيل

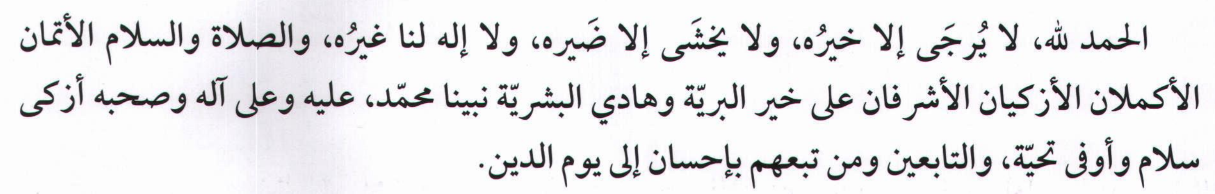
وإلى المغترّين بأهوائهم المصرّين على لأوائهم أن أفيقوا قبلَ فوات الأوان، فأخشى ما نخشاه أن لا تستبينوا النصحَ إلا ضُحَى الغدِ، ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [غافر:٤٤].

حفِظ الله بلادَنا وبلادَ المسلمين من شرّ الأشرار وكيد الفجّار، وأدام علينا نعمةَ الأمن والأمان وإن كرِه الحاقدون المغرِضون الحاسدون المترَبّصون.

وإن رغمت أنوفٌ من أناس فقل — يا ربّ لا ترغم سواها

بارك الله لي ولكم في الوحيين، ونفعني وإياكم بهدي سيّد الثقلين، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كلّ ذنب، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية



الحمد لله، لا يُرجَى إلا خيرُه، ولا يخشَى إلا ضَيره، ولا إله لنا غيرُه، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان الأزكيان الأشرفان على خير البريّة وهادي البشريّة نبينا محمّد، عليه وعلى آله وصحبه أزكى سلام وأوفى تحيّة، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمّا بعد: فاتقوا الله عباد الله، ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٨١]، وعليكم بالجماعة، فإنَّ يد الله مع الجماعة، ومن شذَّ شذَّ في النار.

أيها الإخوةُ الأحبّة في الله، إنّ ممّا يبعَث على الآمال في خضمِّ هذه التداعيات والآلام أنّ الله سبحانه وتعالى كتب الأمنَ والأمان لهذه البلادِ المقدّسة إلى قيام السّاعة، فالأمنُ فيها مِنّة ربِّ العالمين، ودعوةُ أبينا إبراهيم، ثمّ هو بعد ذلك دأبُ هذه الولاية المسلمة وهمُّ الجنديّةِ المؤمنة المخلِصة، بل كلِّ غيور على دينه وبلاده، ومَن يروم غيرَ ذلك من الأوباش فإنما يروم المستحيلَ بإذن الله، وأنّى لناطحِ الصخرة الشمّاء أن يوهنَها، والشجرة الباسقة أن يهزَّها ويثنيَها؟! والأقزامُ إنما يرمون بالحجارة الشجرةَ المثمرة.

بلاد الأمن

أمّةَ الإسلام، ولم تكن بلادُ الحرمين المحروسة بِدعًا في التعرّض للإرهاب والإرهابيِّين، ولشموليّة الشعور والإحساسِ بآلام الأمّة في هذا المجال، لا بدّ من التذكير بمأساةِ إخواننا المسلمين في فلسطين، الذين يعانون من إرهابِ الدّولة الذي يمارسُه الكيانُ الصهيونيّ تحتَ نير الاغتيالاتِ والأوضاع الدمويّة، والتصفيات الجسدية.

والنصيحةُ الأخويّة تقتضي حثَّ إخواننا هناك على الصّبر والمصابرة وتوحيدِ الكلمة ووحدةِ الصفوف، وليبشِر الجميع بنصرِ الله، فالتأريخ شاهدٌ على أنّ حَبلَ العُنفِ والإرهاب قصيرُ المدى، وأنّ

النصرَ مع الصبر، والفرجَ مع الكرب، وأنّ مع العسر يُسرًا، وفي هذا بشارةٌ لأهل الإسلام؛ فإنّ آلام المخاض تعقبُها ولادةٌ مبشِّرة، وإنّ الظلمةَ تحمِلُ في أحشائها إشراقةَ الفجر المنتظَر، وشأنُ المسلم الواعي مع القَدَر والقضاء ومُرِّ الابتلاء الرضا والصبرُ والتسليم، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «لو كان العسرُ في جُحرٍ لطلبه اليُسر حتى يدخُل عليه»[1]، ويقول ابن عباس رضي الله عنهما: «لن يغلبَ عسرٌ يُسرين»[2].

الحاجة إلى بث روح التفاؤل والإيجابية

ونحن اليومَ ومع شدّة الكرب وعِظَم الخَطب أحوجُ ما نكون إلى بثّ روح التفاؤل والاستبشار والإيجابية، حيث تتابعت صنوفُ الإحباطات واليأس عند كثيرٍ من الناس، حتى نسُوا أو تناسَوا في خضمِّ الآلام بَوائِقَ البشائر والآمال.

دعوة للرجوع إلى الله تعالى ودعاؤه وتجديد الثقة به

إنّ الأمةَ مطالبةٌ للخروج من أزماتها الخانِقة بتوبةٍ عامّةٍ، وأوبةٍ صادقة، ورجوع إلى الله، وتضرُّع ودعاء وتجديد الثقةِ بالله، وحُسنِ الظنّ به سبحانه، واستنزال نصره بطاعتِه والتقرّب إليه، وإعادة الثقةِ بالنفس والعملِ الجادِّ الدؤوب في سُبُل الصلاح والإصلاح، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد:١١]، ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الروم:٤-٦].

هذا، وصلّوا وسلِّموا ـ رحمكم الله ـ على نبيّ الرحمة والهدى، كما أمركم بذلك ربّكم جل وعلا فقال تعالى قولًا كريمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهمّ صلِّ وسلِّم وبارك على نبيّنا وإمامنا وقدوتنا وحبيبنا محمد بن عبد الله، وارضَ اللهمّ عن خلفائه الراشدين.

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٣٣)، وابن الجعد في مسنده (١٠٩٩)، والطبري في تفسيره (٣٠/ ٢٣٦)، والبيهقي في الشعب (٧/ ٢٠٦).
(٢) انظر: تفسير الواحدي (٤/ ٥١٧)، وزاد المسير (٤/ ٤٦١)، وروي مرفوعًا عن النبي ﷺ ولا يصح.







واقع المسلمين بين مقاصد الدين وشعارات المضللين

الخطبة الأولى

معالي الشيخ الدكتور: عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، سبحانه وبحمده تفضل علينا بِمِنَن جلَّت حصرًا وتَعْدادًا، وهدانا شِرعة انتظمت صلاحًا ورشادًا، وفلاحًا وإسعادًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، توعَّد من رام شرًّا وإفسادًا في هذه الدنيا نفيًا وإبعادًا، وفي الآخرة سقرَ وبِئْسَتْ مهادًا، وأشهد أن نبيَّنا وإمامنا محمدًا عبدُ الله ورسوله، عمَّ العالمين رحمةً وَوِدادًا، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين كانوا في الإعْمَارِ والإِصْلاحِ رُوّادا، ولِحِياضِ الرُّقيّ وُرَّادًا، ومن اقتفى آثارهم بإحسان، وسلم تسليمًا كثيرًا لا يبلغ البحر له مدادًا.

أمَّا بعد: فإن خيرَ ما يوصى به ويُدّكر، ويُوعظُ به ويُزدجر: تقوى الإله الذي عزَّ واقْتَدر، ألا فاتقوا الله عباد الله، واحذروا سوء العقْبَى والرَّدى، واجتنبوا الغفلات؛ فإنها للطاعات مُدَى، واسْعَوا لأُخراكم كأنكم تَنْقَلِبُون غدا ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الحشر: ١٨].

أيّها المسلمون، تَوارُدًا على حِقَب التاريخ وطروسه، واستِكْناهًا لِثَمدٍ من حقائقه ودروسه، وسَبْرًا لما الْتأم عليه من سنن وعِبر قبل عفائه ودُرُوسه، يُلفي المستقرئ دون لُغوب أنَّ من سنن الله الشرعيةِ

والكونية ما يكون بين الحق والباطل من نزاع، وبين الهدى والضلال من صراع، ولكلٍّ أنصار وأتباع، وذادةٌ وأشياع. وكلَّما سَمَق الحق وازداد تلألؤًا واتضاحًا، ازداد الباطل ضراوة وافتضاحا، وهكذا بعد المحن المطوِّحة، والصروفِ الدُّهم المصوِّحة، يذهب النور بذيول أهل الفجور.

فلا تَسَلْ عبر التاريخ عن فِعَال أهل الكفر الشنعاء، أو رزايا التتار الشعواء، أو بلايا المغُول البلواء، أو فتنةِ القرامطة الدهياء، الذين سعوا لقمع أهل الإسلام، وغيرِهم سلفًا وخلفًا، ممن ضجَّت الخضراء والغبراء لجرمهم الكفور، وحقدِهم الطامي بالفجور والشرور، كلُّ أولئك وغيرُهم أين آثارهم؟! لقد بادوا بعد أن عاثوا في الأرض وأبادوا، وكادوا للمسلمين ما كادوا، فلم يتخذهم التاريخ إلا مثالا قاتما للطغيان الغشوم، ومَسْردًا للاستبداد الظلوم. وصَمَد دينُ الله في شموخه وإبائه، وعزَّته وعلائه، وسيدوم – بإذن الله – بقوَّته الذاتيةِ الإلهية، وخصائصه الربانية، ولم ولن يزدد به المسلمون إلا استعصاما، وبسراجِه المنيرِ إلا اهتداءً والْتحامًا ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [الصف: ٨].

ضعف فهم النصوص الشرعية يُفضي إلى تشويه صفاء إنسانية الإسلام

إخوة الإيمان: وها هو التاريخ يعيد نفسه فما أشبه الليلة بالبارحة، وكما لم تسلم خيرُ القرون من نزغات الشياطين فظهرت أولُ بدعة في الإسلام في نهاية الخلافة الراشدة؛ فإن فئامًا من الخوالف ساروا على درب أسلافهم ممن قصرت أفهامهم، وطاشت أحلامهم، ففهموا النصوص الشرعية فهما خاطئًا مخالفًا لفهم الصحابة والسلفِ الصالح رضي الله عنهم أجمعين، فشوهوا صورة الإسلام على نقائه وصفائه وإنسانيته، وانحرفوا بأفعالهم عن سماحته ووسطيته، يفعلون ذلك باسم الدين،

وينشرونه على مرأى ومسمع من العالمين، وكلُّ من لا يعرفُ الإسلامَ على حقيقته يظن أن ما يصدر عن هؤلاء الغلاة خوارجِ العصر هو الإسلام، والإسلام الحق منهم براء.

رَأيْنا مِنَ الأحْدَاثِ ما يَبْعثُ الأسى   فَمِـن هَوْلِهـا أكبادُنـا تَتَفطَّـرُ
ضـلال وإرْجَـافٌ وطـيْشٌ وفِتْنَـةٌ   وزيْـغ وفهـمٌ كـالِحُ الوجـهِ أغْبَرُ

تعظيم سفك الدماء وقتل الأبرياء

إخوة الإسلام: إن الغُيُرَ من أهل الإيمان لَيَعجبون من هؤلاء المارقين وأشباههم من كل دَعِيٍّ مؤدْلَج، في غيابات التأويل الباطل قد أدْلج، يسلكون طرائق الباطل الصُّرَاح، وينهلون من مشارب العنف والبَطْشِ القَرَاح، أُرخصت لديهِمُ الأعمار، فقاموا بسفك الدماء، وقتل الأبرياء، وجلب الدمار، وإلحاق العار والشنار، وخراب الأوطان، والإساءةِ إلى خلاصة الشرائع والأديان، ولا يكاد عجب الغيورِ يأخذ بالأفول من ضلال تلك العقول التي اتخذت وراءها ظِهْرِيًّا المعقول والمنقول حتى يتساءل بأسى: ما بال هؤلاء يرتكسون في حمأة الجهل الوبيل، ولا يُصيخون إلى النداء العُلوي الجليل الذي عظَّم حرمة الإنسان، ونأى به عن مساقط الغلو والإجرام والطغيان؟! ما لهؤلاء القومِ قد افترستهم أفكار الضلال، واستقطبتهم موجات الوبال ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَـٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١١ – ١٢].

قال الإمام الطبري رحمه الله: «والإفساد في الأرض، العمل فيها بما نهى الله جلّ ثناؤه عنه، وتضييعُ ما أمر الله بحفظه»[١]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الفساد إما في الدين، وإمَّا في الدنيا، **فأعظم فساد الدنيا قتل النفوس بغير الحق**؛ ولهذا كان أكبرَ الكبائر بعد أعظم فساد الدين الذي هو الكفر»[٢].

أعظم الفساد قتل النفوس بغير حق

ويقول الإمام الشاطبي رحمه الله: «يجب على كل ناظر في الدَّليل الشَّرعي مراعاة ما فهم منه الأولون، وما كانوا عليه في العَمَل به، فهو أحْرَى بالصَّواب، وأقْوَمُ في العِلم والعَمَل»[٣].

مراعاة فهم السلف الصالح للنصوص الشرعية

يا أمةً أخطأت درب الهدى فأتى ... حصادها يوم رِبْح الناس خسران

عودي إلى منهجٍ كنتِ به عَلَمًا ... يعلو الرؤوس كما تعلوه تيجان

معاشر المسلمين: إن هذه الدعواتِ المغرضة التي تستهدف المجتمعَ الإسلامي عامة، وتختطف عقول الشباب خاصة ليس وراءها إلا هدمُ المجتمع وتفككُه وإخلالُ أمنه واستقراره، والمصطلحات الشرعية التي يستخدمها هؤلاء لجر شبابنا إلى الويلات باتت واضحة مكشوفة الأهداف لكل ذي عينين، ولا تزال أفعالهم الباطلة الرَّديئة، وأقوالُهم الـمُنمَّقةُ الوبيئة، تفضح مكنون ضمائرهم، وتكشف مضمون سرائرهم؛ لأنهم اتخذوا الدِّينَ لِرَخيص مآربهم مطية وذريعة، ومَسْلَكًا لأهوائهم الطَّامعة الشَّنيعة والتضليل والخديعة، وإلى الله المشتكى من نابتة أغرار، وشرذمةٍ أغمار، حُدثاء

الانحراف الفكري سببٌ لفقد الأمن وهدم المجتمعات

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٣٩٩).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٥٣).

(٣) الموافقات (٣/ ٢٨٩).




الأسنان سفهاء الأحلام، ركبوا رؤوسهم وافتاتوا على ولاة أمرهم وعلمائهم، وهاموا زهوًا وتيهًا وغرورًا، فأحدثوا فِتنًا وفواجع وشرورًا.

ونبرأ من دين الخوارج إذ غلو ... بتكفيرهم بالذنب كلَّ موحد
وظنوه دينًا من سفاهة رأيهم ... وتشديد في الدين أيِّ تشدد
ومن كل دين خالف الحق والهُدَى ... وليس على نهج النبي محمد

ألا فلتفيقوا يا شباب الأمة ولا تغتروا بالشعارات الزائفة البراقة، والمناهجِ الضالة المراقة، ولتحذروا ممن يريد التغرير بكم والزجَّ بكم بإسراع في مواطن الفتن وبؤر الصراع، وليسعْكم ما وسع سَلَفكم الصالحين وعلماءكم الربانيين.

الحذر ممن يريد زجَّ الشباب في مواطن الفتن وبؤر الصراع

فَمَاذَا جَنَيْنَا مِن حَمَاقَاتِ ثُلَّةٍ ... تَزَيَّت بِزَيِّ الدِّين في الدِّين تَنْحَرُ
أفاعِيلُ طيْشٍ تحْتسِي الأرض سُمَّها ... ودَرْبُ الهُدى مِنها كئيبٌ مُعَثَّرُ

وإن على العلماء والمفكرين والدعاة والمُربين: أن يستنهضوا العزائم والهِمَم، ويطّرحوا عن أنفسهم التواني والصمت والوَهَن، وأن يقولوا كلمة الحق دون مُواربة، لا يخشون في الله لومة لائم، ينفون عن دين الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين؛ فأمتنا تمر اليوم بمرحلة تاريخية حرجة، وسيكون التاريخ شاهدًا على من كانوا الأداة الطيّعة التي استغلها الأعداء لتفريق وتمزيق الأمة وتشويهِ صورة الإسلام النقية. وألّا يؤثروا منهج السلامة على سلامة المنهج، وأن يُرسخوا العقيدة الإيمانية السلفية الصحيحة لدى النَّشْء والأجيال في تمَازُج بين الوحدة الدينيَّة واللُّحْمة

الوَطنيَّة وفق الضوابط الشرعية والمقاصدية، التي يُعَانِقُ فيها الوطنُ الإسلام تَعَانُق الألِفِ واللَّام، في ارْتكازٍ على العلم المتين، والفكر المتأصل المكين، والأخلاق القويمة، والفضيلة المؤتَلِقة.

تشويه جمال الإسلام

أمة الإسلام: وأمام تلك الفتن الهوجاء؛ فإن الواجب الوقوفُ صفًّا واحدًا في وجه كلِّ من يحاول اختطافَ وتشويهَ الإسلام، وإنه لمن العيب والعار أن يمارس القتلة المجرمون طغيانهم وإرهابهم وإجرامهم باسم الدين، والدين منهم براء، ويقدمونه للعالم بأنه دين الغلو والكراهية والإرهابِ والدموية، في تشويه متعمد لشعيرة الجهاد الحق، ذروة سنام الإسلام.

إلى جانب ذلك كله نرى دماء إخواننا في فلسطين وغزة وبلاد الشام تُسْفَك في مجازر جماعية لم تَسْتَثْنِ أحدًا، في جرائمِ حرب ضد الإنسانية، دون وازع ديني أو إنساني أو أخلاقي، حتى أصبح للإرهاب أنماط مختلفة، سواء أكان من جماعات أم منظمات أم دول وهي الأخطر شأنا بإمكانياتها وخططها ومكائدها، كل ذلك يحدث تحت سمع وبصر المجتمع الدولي بكل مؤسساته ومنظماته، مما يُخْشَى معه أن يُوجدَ ذلك جيلًا لا يؤمن إلا بالعنف والإرهاب، ويوقنُ بصراع الحضارات لا بحوارها وتناغمها. والمتخاذلون اليوم سيكونون أول الضحايا غدا، فالصمت من المجتمع الإسلامي والدولي ليس له أيُّ مسوغ ديني أو قيمي أو إنساني.

فلنحرص – يا رعاكم الله – على وأد الفتن في مهدها واجتثاثها من أصولها وتجفيف منابعها، فقد وَجدت لها أرضًا خصبة في العالم الإسلامي، وسهّل لها المغرضون الحاقدون على أمتنا كل أمر عبر تحالفات خفية ومنظمات إرهابية، فالمتخاذلون عن أداء مسؤولياتهم التاريخية ضد الأعمال الإرهابية من أجل مصالح وَقْتِيَّة أو مخططات مشبوهة سيندمون حيث لات ساعة مندم، وحتى لا تصاب

الأمةُ بخيبة أمل لعدم تفاعل المجتمعات الدولية والإسلامية في ذلك، يجب تفعيلُ المشروعاتِ الحضارية ضد كلِّ ما يخالف منهج الإسلام الحق في برامج عملية موثوقة، تحقق التوازن والوسطية والاعتدال وتعزز الأمن والسلم والاستقرار.

والحاجة مُلحة وضرورية إلى وضع ميثاق شرف عالمي، يؤدي فيه القادة والعلماء رسالتهم، ويؤمِّن الشبابُ فيه فكرهم، ويُضْبَط فيه مسار الإعلام الجديد، دون أن يقضي على ما بقي من دين الأمة وعقول أبنائها وأمنها ووحدتها.

وأخيرًا:

فَعَلَيْـك بـالوَحْيَيْن لا تَعْـدُوهُمَا ... واسْـلُك طـريقَهُمَا بِفَهْـم جَيِّـدِ

فـإذا تَعَـذَّرَ فهـم نـص غـامِضٍ ... فاسْتَفْتِ أَهْلَ الـذِّكرِ كَالـمُسْتَرشِدِ

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥].

بارك الله لي ولكم في الوحيين، ونفعني وإياكم بهدي سيد الثقلين، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل، لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل خطيئة وإثم، فاستغفروه وتوبوا إليه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وليِّ التوفيق والـمِنَن، ونسأله جل وعلا دَرْأ الشرور والفتن، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، من اعتصم به وُقِيَ الغِيَرَ وَأَمِن، وأشهد أن نبينا محمدًا عبد الله ورسوله، خيرُ من هدانا إلى أزْكى السَّنَن، أوان الشدائد والمحن، صلَّى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه الـمُسْتَمْسكين بنور الوحي والسُّنَن، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله عباد الله، واستدركوا سوابق الحَوْبات، بلواحق التَّوبات، يكن العِزُّ رديفكم، والنصرُ والتَّمْكينُ حليفَكم.

معاشر المؤمنين: وإن من عجائب الأمور، ومما يحار فيه ذوو العقول، أن يوجِّه أصحابُ السهامِ المسمومة، والأنفسِ الضيقة المحمومة، سهامهم المشؤمة إلى دُرة الأوطان ومهبط الوحي ومأرز الإيمان، بلاد الحرمين الشريفين، بلاد التوحيد والوحدة والقرآن والسنة، التي جعلها الله مثابة للناس وأمنًا وقبلة.

أمة الإسلام: وجِمَاعُ الخيرِ كلِّه وأقومُ سبيل وأهدى طريق للنجاة من الفتن الحوالك، والكُرَب الهوالك، هو الحذر من الفتن ودعاتها ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١]، ولزومُ الجماعة وحُسْنُ السمعِ للإمام والطاعة، وتركُ التفرق والتحزب والطائفية والتعصب كما قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وروى الإمام مسلم من حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات مِيتَةً جاهلية، ومن قاتل تحت رَايَةٍ عُمِّيَّة،



يغضب لِعَصَبِيَّة، أو يدعو إلى عصبية أو ينصر عصبية فقُتل فقِتْلَتُه جاهلية، ومن خرج على أمَّتي يضرب بَرَّهَا وفَاجِرَها، لا يَتَحَاشى من مؤمنها، ولا يَفي بعهد ذِي عَهْد، فليس مِنِّي ولسْتُ منه»[1].



سبيل النجاة

وفي حديث حذيفة في الفتن قال ﷺ مبينًا سبيل النجاة منها: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»[2].

وروى ابن أبي شيبة في مصنفه عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه خطب الناس فقال: «إنَّ الذي تكرهون في الجماعة خيرٌ مِمَّا تحبُّون في الفُرقة»[3].

إنَّ الجماعة حَبل الله فاعتصِموا	مِنه بِعُرْوَتِهِ الوثْقى لِمَن دَانَا
كم يدفعُ الله بالسلطان معضلةً	في ديننا رحمةً منه ودنيانا
لولا الإمامة لم تُؤْمَنْ لنا سُبُلٌ	وكَانَ أضْعَفُنا نَهْبًا لِأَقْوَانا

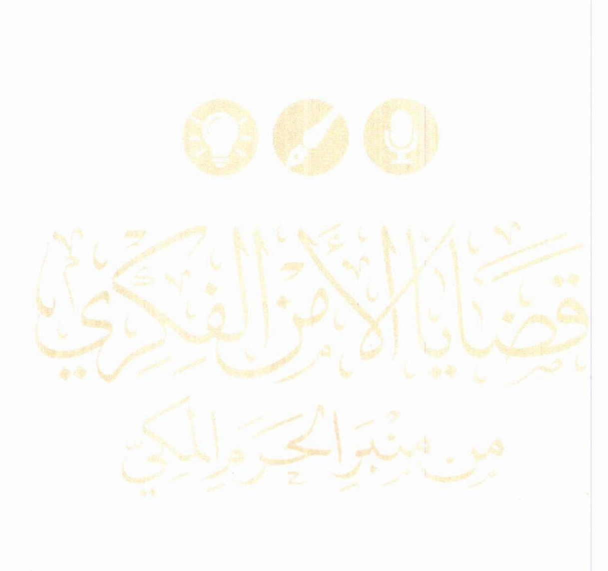
وإنا لنسأل المولى في علاه أن يحفظ على بلادنا – بلاد الحرمين الشريفين – عقيدتها وقيادتها وأمنها وأمانها، وأن يُسدد ويُوفق عيوننا الساهرة رجال أمننا إلى كل خير وفلاح، وأن يحفظ أُمَّتنا الإسلامية عامة من كيد الأعداء المتربصين، ويجعلها عزيزةً صامدة، مجيدةً رائدة، في الحقِّ قائدة وسائدة، إن ربي سميع مجيب الدعاء.

---

(١) تقدم تخريجه، ص(٤٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب رقم(٣٦٠٦)، ومسلم في كتاب الإمارة رقم(١٨٤٧) عن حذيفة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٤٧٤) رقم(٣٧٣٣٧)، والطبراني في الكبير (٩/ ١٩٩) رقم(٨٩٧٣)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٨٩) رقم(٨٦٦٣).


قضايا الأمن الفكري
من منبر الحرم المكي

التحذير من تفريق الشيطان

الخطبة الأولى

فضيلة الشيخ الدكتور: أسامة بن عبد الله خياط

أمّا بعد: فاتَّقوا الله عبادَ الله، واذكروا وقوفكم بين يدَيه، يوم تُعرَضون عليه، ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ٣٦ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧].

الحذر من كيد الشيطان وإثارته لأسباب الفرقة

عبادَ الله، ديدَنُ اللَّبيبِ الواعي وشأنُ الأريب اليَقِظ كمالُ الحَذَر من كيد العدو، وأخذُ الأُهبة لاتِّقاء مكره ودرءِ خَطَره، ولئِن تفاوتَ هذا الخطرُ بحسَب قوّةِ العدو وعلى قدر تمكُّنه من وسائل الإثخان في عدوِّه وإيصال الأذى إليه؛ فإنَّ مِن أشدِّ العداوات ضررًا وأبعدها أثرًا عداوةَ من ذكَر الله في كتابه مُحذِّرًا منه بقوله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

وَتَتجلَّى هذه العداوةُ التي ابتدَأت بإبائِه السّجودَ لآدمَ عليه السلام، وخروجِه من الجنّة في توعُّده لِبني آدمَ بالإضلالِ وتربُّصه بهم وقُعودِه لهم كلَّ مرصَد، كما أخبرنا سبحانَه عن ذلك بقولِه عزَّ اسمُه: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦ - ١٧].

وتَتجلَّى في تعهُّده الذي أخذَه على نفسِه بأن لا يدَعَ سبيلًا للإغواءِ إلا سلكَه: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ﴾ [النساء: ١١٩].

وإذا كانَ إضلالُه لهم وشغلُه بالأمانِيِّ الكاذِبةِ ودعوتُه لهم إلى تشقيقِ آذان الأنعامِ وتغيير خلقِ الله وهيئتِه التي فُطِروا عليها بعضَ ما في كِنانتِه؛ فإنَّ فيها ضربًا لا يقِلّ عن ذلك خطرًا؛ ذلك أنَّ مِن أظهر ما يُبغِضُه ما يَرى من أُلفَة المؤمنين وتَوادِّهم وتَراحُمهم واجتماعِ كَلِمَتهم واتِّحاد صفوفِهم، فيَحمِله ذلك على إثارةِ أسبابِ الفُرقة والشِّقاقِ بينهم وبَذرِ بُذور الفتنة بضرب بعضهم ببعض؛ سعيًا إلى قطعِ رابطة الأُخُوَّة والقضاء على وشيجة الإيمان، وهو التحريشُ الذي أخبر عنه نبيُّ الرحمة ﷺ مُحذِّرًا منه أمَّتَه بقولِه: «إنَّ الشيطانَ قَد أَيِسَ أن يَعبُدَه المُصلُّون في جَزيرَة العرب، لكن في التحريش بينهم»[1].

إن سعيَه إلى التحريش وأملَه في الظَّفَر بآثاره باقٍ لم يتطرَّق إليه يَأسٌ؛ ولذا فهو يعمَل له، ويدأَبُ فيه، ويتوسَّل إليه بإعمال الحِيلة لإغراءِ بعض أبناء الأمة على بعضِها الآخَر؛ بإثارةِ عواملِ النّزاع وتهييجَ أسبابِ التناحُر بطرائِقَ ومسالِك يُزيِّنها ويُظهِرها في صورةِ مصالح ومنافع، تبدو خلّابةً للعقول، آخِذةً بمجامِع النفوس، ويستعينُ على بلوغِ ما يريد بمن رَضِيَ باتِّباع خُطواتِه والانضِواء تحت لوائه والاستجابة لوَسوَستِه، كما جاء في الحديثِ الذي أخرجه مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ عرشَ إبليسَ على البحرِ، فيبعَثُ سراياه، فيفتِنون بين النّاس، فأعظمُهم عنده أعظمُهم فِتنةً، يجيءُ أحدهم فيقول: فعلتُ كذا وكذا، فيقول: ما صَنَعتَ شيئًا، ثم يجيءُ أحدُهم فيقول: فَعلتُ كذا وكذا، فيقول: ما صَنعتَ شيئًا، ويجيءُ

إظهار التهييج والنزاع في صورة المصالح والمنافع

(١) أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار رقم(٢٨١٢) عن جابر رضي الله عنه.

أحدُهم فيقول: ما تركتُه حتى فرَّقتُ بينَه وبَين امرأته، فيُدنيه منه ويقول: نِعْم أنت»[1] . وانظروا إلى ما فَعَل بإخوةِ يوسُف عليه السلام حين نزَغ بينه وبينهم، ففعَلوا ما فعلوا من الكيدِ له والعدوان عليه.

غيرَ أنَّ أولي الألباب الذين لم يجعل الله للشيطان سُلطانًا عليهم يعلَمون أنَّ ربهم الرؤوفَ الرحيمَ بهم، كما حذَّرهم مِن طاعةِ الشيطانِ ومِنِ اتخاذه وليًّا من دونِ الله، فقد بيَّن لهم بما أنزل في كتابِه من البيِّنات والهدَى ما يستعصِمون به من تحريشِ الشّيطان وتفريقه وفِتنَته.

• **وفي الطليعةِ من ذلك:** الاعتصامُ بحبلِ الله كما أمَر الله ورضِيَه لنا، فقال سبحانه: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وهو أمرٌ بالاستِمساكِ بدينِ الإسلامِ أو بالقرآنِ، وكما جاءَ في الحديثِ الذي أخرجه مسلم في صحيحه وأحمد في مسندِه عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّ الله تعالى يَرضَى لكم ثلاثًا، ويكره لكم ثلاثًا؛ فيرضَى لكم: أن تعبدوه ولا تُشرِكوا به شيئًا، وأن تعتَصِموا بحبلِ الله جميعًا ولا تفرَّقوا، وأن تُناصِحوا مَن ولَّاه الله أمرَكم، ويَكرَه لكم: قِيلَ وقَال، وكَثرةَ السؤالِ، وإضاعَةَ المال»[2] .

• **ومن ذلك:** تذكُّر نعمَةِ الله على عبادِه وما منَّ عَليهم من نِعمَة الأُخوَّة في الدّين بعد ما كانوا عليه من عداوات الجاهلية وقتالها وثاراتها.

تذكر نعمة الأمن وخطر الفرقة الجاهلية

(١) أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار رقم(٢٨١٣) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحدود رقم(١٧١٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

اتباع الصراط المستقيم والحذر من السُّبُل المتفرق

• **ومنه:** اتباع صراط الله المستقيم والحذَرُ من اتباع السُّبُل؛ لأنَّ على كلِّ سبيلٍ منها شيطانًا يدعو إليها، كما جاء في الحديثِ الذي أخرَجه أحمد في مسندِه والنسائيّ في سننه وابن حبانَ في صحيحه والحاكم في مستدركه بإسنادٍ صحيحٍ عن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه أنّه قال: خطَّ لنا رسولُ الله ﷺ يومًا خطًّا فقال: «هذا سبيلُ الله» ، ثم خطَّ خطوطًا عن يمينِ الخطِّ وعن شماله فقال: «هذه السُّبُل، على كلِّ سَبيلٍ مِنها شيطانٌ يدعو إليه»[1] ، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وهي وصيَّةٌ ربانيَّةٌ كريمةٌ من ربٍّ رحيم، وصيَّة الله لعبادِه بأن يتَّخذوا من صراطِ الله منهاجًا يسلُكونه، ولا يَحيدون عنه، ولا يسلُكون طريقًا سِواه، ولا يبغُون دينًا غيرَه؛ لأنهم إنِ اتَّبعوا سُبُل الشيطان حادَت بهم وانحرَفَت عن طريقِ الله ودينِه وشَرعه الذي شرَعَه لهم ورضِيَه، وهو الإسلامُ الذي وصَّى به الأنبياء، وأمرَ به الأُمَمَ من قبلنا.

تعويد اللسان على حسن الكلام سبب في السلامة من تحريش الشيطان

ومِن أسباب السلامةِ من تحريش الشيطان أيضًا: تعويدُ الألسنةِ القولَ الحسنَ والكَلِمةَ الطيبة، كما قال سبحانه: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣].

وهو -كما قال الحافظ ابن كثير رحمه الله- أمرٌ من الله تبارك وتعالى لرسولِه أن يأمرَ عبادَ الله المؤمنين أن يقولوا في مُخاطباتهم ومُحاوَراتهم الكلامَ الأحسَن والكلِمةَ الطيبة؛ فإنّه إذا لم يَفعَلوا ذلك

(١) أخرجه أحمد في المسند (٧/ ٢٠٨) رقم(٤١٤٢)، والنسائي في الكبرى، كتاب التفسير رقم(١١١٠٩) وصححه الألباني في المشكاة (١٦٦).

نزَغَ الشيطانُ بينهم وأخرج الكلامَ إلى الفِعال، ووقع الشر والمُخاصَمة والمُقاتلة[1].

الكلمة الطيبة تقود إلى الألفة والاجتماع

فالقولُ الحَسَن والكلمة الطيبة -يا عبادَ الله- رسولٌ إلى الخير، وقائدٌ إلى الأُلْفة واجتماع الكلمة، وسبيلٌ إلى اتحادِ الصفوف، وطريقٌ إلى إرغامِ الشيطانِ وإحباطِ سَعيه إلى الفتنةِ والفُرقةِ والتنازُع بينَ أبناءِ الأمّة الواحدة، ذلك التنازُع الذي نهى اللهُ عبادَه عنه مُبيِّنًا قُبحَ مآله وسوءَ عاقبتِه بقوله: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ [الأنفال: ٤٦].

المظاهرات والاعتصامات باب للفتنة

وكفى بالفَشَل وذهابِ الرِّيح المُعبِّرَيْن عن أسوأ عاقبة وأقبح مآل ينتظرُ المُتنازِعين، كفى به نذيرًا صارخًا لأُولِي الألبابِ ليأخُذوا حِذرَهم مِن وَساوِس الشيطانِ واتّباع خُطواته وانتهاج سُبُله التي يُزيِّنُها بزُخرف القول، يغُرُّ به من أطاعَه وأسلم له قِيادَه، ويُحسِّنُها بالوعودِ والأمانِيِّ الكاذبة التي اتخذَت لها في أعقابِ الزمن صورًا لا يُحيطُ بها الحصرُ ولا يستوعِبُها العدُّ، حتى صارَ لها اليومَ من أجهزةِ الإعلام الحديثة وشَبكات المعلومات العالميّة بما فيها من قنواتٍ ومواقِعَ وما تُتيحُه من قُدراتٍ ووسائل، صارَ لها اليومَ ساحةٌ لا حدودَ لها، وميدانٌ لنشر دعواتٍ والترويج لاتجاهات والحثِّ على مسيرات، وما يُسمَّى: تظاهرات واعتصامات، يَستيقِنُ كلُّ عاقلٍ مُخلِصٍ لله ناصحٍ لعباده مُحبٍّ لهم عظيمِ الشَّفَقةِ عليهم مُريد الخيرَ بهم أنها بلاءٌ عاجلٌ، وبعثُ فتنةٍ نائمَة، وسبيلُ فُرقةٍ مائِجَة، وطريقُ فَوضَى عارِمة، وتَعطيلُ مصالحَ لازمة، وعبَثٌ بأمنٍ راسِخٍ لا غَناءَ عنه ولا بَديل.

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٨٦).

البُعد عن مواطن الفتن

فإنَّ شأنَ الفتنةِ أن ضرَرها يعُمّ ولا يخُصّ، وأن مَن استشرَفَ لها استشرَفَته، أي: من تطلّع إليها وتعرَّض لها أشرفَ منها على الهلاك، وأنَّ القاعد فيها خيرٌ من القائم، وأن القائم فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعِي، كما أخبر بذلك نبيُّ الرحمةِ الرؤوفُ الرحيم الناصحُ الأمينُ الصادِق الذي لا ينطِق عن الهوَى صلوات الله وسلامه عليه في الأحاديث الصحيحة في الصحيحين وغيرهما.

أهمية جلب المصالح ودفع المفاسد

وإنَّ كلَّ من ذكَر نعمَ الله عليه التي إن عدَّها لم يُحصِها، وكلَّ مَنِ استشعَر مسؤوليتَه العُظمَى عن صيانة الدينِ وسلامة الوطن ووحدة الأمة، وأن كلَّ من أُوتِي الحكمَةَ ورُزِق حظًّا وافرًا من ذكاءِ الحِسّ وكمالِ الوعي وسدادِ الرأي، فنظَر في العواقِب، واتَّقى الفتن، ووازَنَ بين المصالح المتوهَّمة الظنية والمفاسد المُحقَّقة القطعية؛ لن يكون أبدًا إلا مُجانِبًا لهذا النُّكْر، رافضًا هذا الفِكر، مُعرِضًا عن هذا الطَّرْح، سبَّاقًا إلى الدَّعوةِ إلى ائتلافِ القلوب واجتماعها ونبذِ أسباب الفُرقة، والحَذَرِ من كل سبيلٍ يُفضِي إليها أو يُعين عليها، باذلًا وُسعَه في البيانِ، مُستغرِقًا وقتَه في النُّصح، صارفًا همَّته إلى التّحذير، وفي تضافُر جهده وجهد كل الحكماء والعقلاءِ ما يُسدِّد الله به الخُطا، ويُبارِكُ به السّعي، وتُحفَظ به الحَوزة، وتُطفَأ به الفِتنة، وتحسُنُ به العاقبة.

فاتقوا الله عبادَ الله، واذكُروا أنَّ في اعتصامِكم بحبلِ الله واتباعِ صراطِه المستقيمِ، والحذَر من اتباع السُّبُل والشدِّ على روابط الأخوّةِ والحفاظِ على أسبابِ الوحدة، خيرُ عُدَّةٍ لبلوغِ ما ترجون من رضوانِ الربِّ الرّحيم الرحمن، ودَحر عدوِّكم الشيطان، وردِّ كيدِه، وهزيمة جُنده وأتباعه.

الخطبة الثانية

الحمدُ لله ربِّ العالمين، الرّحمن الرّحيمِ، مالكِ يومِ الدِّين، أحمده سبحانَه، وأشهد أن لا إلهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهد أنَّ سيِّدنا ونبيَّنا محمَّدًا عبد الله ورسوله خاتمُ النبيين وإمام المرسلين وقائدُ الغُرِّ المُحجَّلين، اللّهمّ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمّد، وعلى آله وصحبه الطيّبين الطاهرين، وعلى التابعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أمّا بعدُ: فيا عبادَ الله، إنّه على الرّغمِ من أنَّ النعمَ التي منَّ الله بها على عباده كثيرةٌ لا يأتي عَليهَا البيانُ ولا يُحصِيها العادُّ، كما قال سبحانه: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، غيرَ أنّه سبحانه حين أراد تذكيرَ قريشٍ بنِعَمه قال في مقامِ الامتنان: ﴿ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾ [قريش: ٤].

كشف سر التذكير بنعمة الأمن والشبع

فَذَكر نِعمتَيْن أنعَم بِهِمَا عَليهم، هما: نعمة الشِّبَع ونعمةُ الأمن. وفي تخصيصِ هاتين النّعمتين بالذكر سرٌّ عظيم وفَّق الله المُلهَمين من المُفسِّرين والخُبَراء إلى كشفه وبيان أسرارِه، وحاصلُه: أنَّ هاتين النعمَتين الجليلتين هما الغايةُ القُصوَى للحياةِ على ظَهرِ الأرض؛ فالشِّبَع هو مِلاكُ الحريات الاقتصاديّة، والأمنُ هو مِلاكُ الحريات السياسيّة، وبهما يَبسُط العدلُ الاجتماعيّ والعدلُ السياسيّ ظِلالَهما اللّذَيْن تهفُو إليهما الأُمم كافةً، وتسعدُ بهما الشعوب. فإذا ظفِر بهما أيُّ بلدٍ من بلادِ الله كان لزامًا عليه أداءُ حقِّ الله عليه بالإيمان به والمُسارعة إلى طاعته وابتغاء مرضاته؛ بتحليل حلاله وتحريم حرامه؛ ولذا قال سبحانه: ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ﴾ [قريش: ٣].

ويُؤكِّد هذا المعنى ويزيدُه وضوحًا ما جاء في سنّة رسولِ الله ﷺ من قولِه: «من أصبَح آمنًا في سِرْبه مُعافًى في بدَنه عنده قُوتُ يومه وليلته فكأنما حِيزَت له الدنيا»[(١)].

فإذا نَسِيَت الأُممُ هذا الخيرَ كلَّه وتمرَّدَت على ربها حُرِمت ما يسَّر لها من ضروريّاتٍ ومُتَع، كما قال سبحانه: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢]. وفي مُقابلة الشِّبَع والأمن في النعم بالجوع والخوف في النِّقَم ما يجعل هذا المعنى شديدَ الوضوح بيِّنَ المنزِع غنيَّ الدلالة.

فاتَّقوا الله عبادَ الله، واذكروا نعمَةَ الله عليكم إذ هداكم للإسلام، ومنَّ عليكم بما لا تُحصُون من النِّعَم العِظام والمِنَن الجِسام، ولا تُبدِّلوا نعمَةَ الله كفرًا، واذكروا أنَّ السعيدَ هو المُعتبِرُ بعبَر الأيّام والمُتَّعِظُ بعِظات الزمان، فابتَغى الوسيلةَ إلى رضا الربِّ الرحيم الرحمن.

واذكروا على الدوام أنَّ الله قد أمركم بالصلاة والسلام على خاتم النبيّين وإمام المتقين ورحمة الله للعالمين.

● ○ ● ○ ●

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد رقم(٢٣٤٦)، وقال: حسن غريب. وصححه الألباني في الصحيحة (٢٣١٨).

فضل الائتلاف والتحذير من الفرقة

الخطبة الأولى

فضيلة الشيخ الدكتور: أسامة بن عبد الله خياط

أما بعد: فاتقوا الله عباد الله، واذكُروا وقوفكم بين يدَيه، ﴿يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [النحل: ١١١].

من صفات المسلمين الائتلاف واجتماع الكلمة

أيها المسلمون، إن ائتلافَ القلوب واتحادَ المشاعر واجتماعَ الكلمة من أوضح صفات المُسلمين المُخلصين، الذين جعل الله الأُخوَّة في الدين قاعدةَ وأساسَ العلاقات بينهم، فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ الآية [الحجرات: ١٠]، ووصفَ أمَّتَهم بأنها أمةٌ واحدةٌ: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

التفرق معول هدم وتقويض لقوة الأمة

ولما كان التفرُّق والتناحُر والتدابُر مُباينًا لذلك كلَّ المُبايَنة، لأنه مِعولُ هدمٍ في بُنيان هذه الأمة، وسببٌ لتقويضِ عوامل القوة والعِزَّة والخيرية التي كتبَها الله لها؛ جاء التحذيرُ الربانيُّ من الخلاف الذي وقع فيه مَن قبلَنا من الأمم، فحملَهم على التناحُر والتلاعُن مع مجيءِ البيِّنات الهادِيات المانِعات من الوقوع في ذلك، ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٥ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ١٠٦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٥- ١٠٧].

وعدَّ الله تعالى هذا التفرُّق في الدين والاختلاف فيه مُفسِدًا له، ومُقوِّضًا لأركانه، وعامِلًا على الانفصال عنه، وسببًا لبراءة رسولِ الله ﷺ من أهله، أي: من أهل هذا التفرُّق: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

البـراءة من أهل الفرقـة

وكما جاء هذا النهيُ عن التفرُّق والتحذير منه، فقد جاءت تكاليفُ الشريعة بكل سببٍ يضمَنُ الائتلافَ ويحُولُ دون التفرُّق:

- **فمن حثٍّ** على أداء الصلوات الخمس في اليوم والليلة في جماعةٍ بالمساجد بالترغيب القويِّ فيها، والتحذير الشديد من تركها، كما جاء في «الصحيحين» عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «صلاةُ الجماعة أفضلُ من صلاةِ الفَذِّ بسبعٍ وعشرين درجة»(١)، وكما جاء في الحديث الذي أخرجه الشيخان في «صحيحيهما» عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده؛ لقد هممتُ أن آمُر بحطبٍ فيُحتَطَب، ثم آمُر بالصلاةِ فيُؤذَّن لها، ثم آمُر رجلًا فيؤُمَّ الناسَ، ثم أُخالِفَ إلى رجالٍ لا يشهَدون الصلاةَ، فأُحرِّقَ عليهم بيوتَهم...»(٢) الحديث.

- **إلى إيجابِ** الالتقاءِ كل أسبُوعٍ لسماع الذكرِ وأداء صلاة الجُمُعة، إلى الأمر باجتماعٍ أكبر من ذلك في صلاة العيد، وجعَل مكانَه الصحراء، وحثَّ على حضور الرجال والنساء حتى الحُيَّض منهنَّ؛

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجماعة والإمامة رقم(٦١٩)، ومسلم في كتاب المساجد رقم(١٥٠٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأذان رقم(٦٤٤)، ومسلم في كتاب المساجد رقم(١٥١٤).

جمع الكلمة مقصدٌ عظيمٌ

ليحظَى بهذا الخير العددُ الغفيرُ ويعُمَّ النفعُ، إلى فرضِ اجتماعٍ يضُمُّ حشودًا تأتي من كل فجٍّ عميقٍ، تؤُمُّ البيتَ في زمانٍ معلومٍ لأداء شعيرة الحجِّ، فيكونُ التقاءُ هذه الحشود أمرًا محتومًا؛ لشهُود المنافع التي تأتي للشدِّ على الروابطِ بين الإخوة، والسعيِ إلى توحيد صفوفهم وجمع كلمتهم.

وفي السنن التي سنَّها رسول الهدى -صلوات الله وسلامه عليه- من الوصية بالاتحاد والاجتماع، والتحذير من غوائلِ الفُرقة والتنازُع ما يُفصِحُ عن شدَّة حِرصِه ﷺ على ما يحفظُ أسبابَ ذلك، ويدلُّ عليه، ويُرشِدُ إليه.

حال الصحابة وحرصهم على الاجتماع

- **ومن ذلك:** أنه رأى ﷺ في بعض أسفاره تفرُّقَ الناس في الشِّعابِ والأوديةِ حين ينزِلون منزلًا، فكرِهَ ذلك ونهى عنه بقوله: «**إن تفرُّقَكم في الشِّعاب والأودية إنما ذلكم من الشيطان**»[1]، فلم ينزِلوا بعد ذلك منزلًا إلا انضمَّ بعضُهم إلى بعضٍ، حتى يُقال: لو بُسِطَ عليهم ثوبٌ لعمَّهم. أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» وأبو داود والنسائي في «سننيهما» بإسنادٍ صحيحٍ.

ولما كان التطاحُن والتنازُع على متاع الدنيا شأنَ أهل الجاهلية وعادةَ أهل الكُفر؛ فقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك أهلَ الإسلام، فقال في خُطبة يوم النَّحر: «**ألا لا ترجِعوا بعدي كُفَّارًا يضرِبُ بعضُكم رقابَ بعضٍ**»[2]. قال ابن عباسٍ رضي الله عنهما: فو الذي نفسي بيده؛ إنها لوصيَّتُه إلى أمَّته: «**لا ترجِعوا**

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٩/ ٢٧٣) رقم(١٧٧٦)، والنسائي في الكبرى رقم(٨٨٥٦) من حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣١٢٧).

(٢) تقدم تخريجه، ص(١١).

بعدي كُفَّارًا يضرِبُ بعضُكم رقابَ بعضٍ»[1] أخرجه البخاري في «صحيحه».

تشديد النكير على من فارق الجماعة

ولما كان الخروجُ على إجماع الأمة من أعظم أسبابِ الشِّقاق والتنازُع؛ فقد كان التحذير من الخروج عن الطاعة ومُفارقة الجماعة شديدًا، والعقوبة عليه مُغلَّظَة، يقول رسول الله ﷺ: «من خرجَ عن الطاعة، وفارقَ الجماعةَ، فمات مات ميتةً جاهليَّةً، ومن قُتِل تحت رايةٍ عُمِّيةٍ -أي: جهالةٍ وضلالةٍ-، يغضبُ للعَصَبة، ويُقاتِلُ للعَصَبة فليس من أمَّتي، ومن خرج من أمتي على أمتي يضرِبُ برَّها وفاجِرَها، لا يتحاشَى من مؤمنِها، ولا يفِي بعهدِ ذي عهدِها، فليس مني ولستُ منه»[2] أخرجه مسلم في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي الحديث الآخر أيضًا عند مسلم رحمه الله: «ستكونُ هَناتٌ وهَناتٌ، فمن أرادَ أن يُفرِّقَ أمرَ هذه الأمة وهي جميعٌ فاضرِبوه بالسَّيف كائنًا من كان»[3].

خطر ترك جرثومة الفرقة تدبُّ في جسد الأمة

وما ذاك -يا عباد الله- إلا لأن الفُرقَةَ والخروجَ على الجماعة أشبهُ بجُرثومةٍ، لو سُمِح لها بالحياة لقتلَت جسدَ الأمة وأوردَته مواردَ الهلَكَة، وقد كان من شُؤم التنازُع ووبالِه ما حصلَ يوم أُحُد، فإن ما وقعَ من تنازُع وعِصيان أمرِ الله وأمرِ رسوله ﷺ كان سببَ ما مُنوا به من تَقَهْقُرٍ في جهادٍ بذَلوا فيه لله أنفُسَهم وأموالَهم، ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحج رقم(١٦٢٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة رقم(٤٨٩٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة رقم(٤٩٠٢) عن عرفجة رضي الله عنه.

﴿وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

وكانت أول موعظةٍ وُعِظوا بها بعدما كان من نصرِ الله لهم يوم بدرٍ أن أُمِروا بجمع صُفُوفهم، والحذَر من التنازُع المُفضِي إلى الفُرقة، فقال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وإنه لفشلٌ وذهابُ ريحٍ لا عاصِمَ منه، ولا منجاةَ من غوائِلِه إلا بالاعتصامِ بحبلِ الله -أي: بدينه-، وبكتابه، وبشرعه، وبنَبذِ التفرُّق المُفضِي إلى جحدِ نعمةِ الله علينا؛ إذ هدانا إلى الإسلام، وجعلَنا من بعد عداواتِ الجاهليَّة وأحقادِها وتفرُّقها وتحزُّبها إخوانًا في الدين، أعوانًا على الخير، كما قال سبحانه: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

نفعَني الله وإياكم بهديِ كتابه، وبسُنَّة نبيِّه ﷺ، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنبٍ، إنه هو الغفور الرحيم.



الخطبة الثانية

إن الحمد لله، نحمده ونستعينُه ونستغفرِه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدِه الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلِل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله، اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحبه.

أما بعد: فيا عباد الله، إن الاختلافَ الناشِئ عن تفاوُت المدارِك في الفهمِ وتبايُن العقولِ في الاستِنباط لم يكن أبدًا ولا يصِحُّ أن يكون سببًا للفُرقة والتنازُع؛ لأنه اختلافٌ بين مُجتهِدين أساغَه الشارِعُ، وجعل الأمرَ فيه دائرًا بين أجرَيْن لمن أصابَ، وأجرٍ لمن أخطأ، كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري في «صحيحه».

الاختلاف المعتبر والسائغ لا يوجب التنازع

وهو ارتباطٌ بين صلاحِ القصدِ ونتيجة الفِكرِ، فما دام القصدُ صحيحًا والوسيلةُ صائبةً والأهليَّةُ قائمةً فلا مُوجِبَ للتنازُع؛ إذ المقصودُ معرفةُ الحق والعملُ به والدِّلالةُ عليه؛ رغبةً في التواصِي بالحق والتواصِي بالصبر، وذلك من أسباب الاجتماع لا التفرُّق، ومن عوامل الاتحاد لا التنازُع.

تفعيل دور الإعلام الجديد ليكون سببًا لاجتماع الكلمة

وما أحسنَ أن يكون الإعلامُ الجديدُ بما يُتيحُه من وسائل وما يُوفِّره من مواقع تواصُلٍ سببًا لاجتماع الكلمة، وطريقًا لاتحاد المشاعِر، لا أن يكون عامل فُرقة وخُصومةٍ وتنازُع.

فاتقوا الله عباد الله، واعملوا على كل ما يُحقِّقُ اتحادَ الكلمة ووحدة الصفِّ، وحَذَارِ من التناحُر والتنازُع والتفرُّق المُؤذِنِ بالفشل وذهابِ الريح؛ فإنه أسوأُ مصيرٍ ينتظِرُ المُتخاصِمين المُتنازِعين.

موقف المسلم من الفتن

الخطبة الأولى

فضيلة الشيخ: عمر بن محمد السبيل

أما بعد: فيا أيها المسلمون اتقوا الله حق تقاته، فإن في تقواه ﷻ العصمة من الضلالة، والسلامة من الغواية، والأمن من المخاوف، والنجاة من المهالك، ومن حقَّق التقوى آتاه الله نورًا وضياءً، يفرِّق به بين الضلالة والهدى، والبصيرة والعمى، كما قال جل وعلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الأنفال:٢٩].

فاتقوا الله عباد الله، واستقيموا على شرعه القويم، والتزموا صراطه المستقيم، الذي لا يضل سالكه؛ لأنه طريقٌ واضح لا لبس فيه، ومستقيمٌ لا التواء فيه، ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام:١٥٣].

صراط الله المستقيم

فصراط الله المستقيم هو كتابه الكريم، وهدي رسوله الأمين، الذي سار عليه، وربّى عليه أصحابه، ووجّه أمتَه إلى السير عليه، والعمل على مِنْوَالِه في الاعتقاد والعمل، دون غلو ولا جفاء، ومن غير إفراط ولا تفريط، وإنما وسطٌ واعتدال، كما قال ﷻ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾ [البقرة:١٤٣]. وتلك فضيلةٌ عظمى، امتازت بها شريعة الإسلام الحنيفية السمحة، وهو الحق والعدل، الذي يجب أن يُسلك ويُنهج، كما قال سبحانه: ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ [هود:١١٢].

الاستقامة على دين الله في كل الأحوال

وإن من صدق الإيمان ودلائل التوفيق ـ يا عباد الله ـ أن يستقيم المرء على دين الله وشرعه، أيام حياته وعلى كل حالاته، في حال السراء والضراء، وفي حال الشدة والرخاء، فيكون عابدًا شاكرًا لله في حال السراء، وصابرًا محتسبًا في حال الضراء، ملتزمًا نهج رسول الهدى ﷺ الذي سار عليه، ووجَّه أمته إليه؛ إذ ما من خير إلا دل الأمة عليه، ولا شرٍّ إلا حذرها منه، ولم ينتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى حتى أكمل الله تعالى به الدين، وأتمّ به النعمة على الخلق أجمعين، فترك أمته على المحجة البيضاء الواضحة للسالكين، والبينة للناهجين، لا يزيغ عنها إلا من كان من الهالكين.

إخباره ﷺ بالفتن

كما أنه ﷺ قد أخبر بما يكون في الأمة بعده إلى قيام الساعة من تفرق واختلاف، ونزاع وشقاق، ينشأ عنه فتنٌ عظمى، ومحنٌ كبرى، يوقد نارَها ويُذكي جذوتَها أعداءٌ متربّصون، وكفرةٌ حاقدون، أو جهلةٌ قاصرون، منحرفون عن منهج الحق والعدل.

فتتأجّج نار الفتن في الأمة، وتشتدّ ضراوتها، ويستشري ضررها، ويتفاقم خطرها، ويجلّ خطبها، وتلتبس عندئذ كثير من الحقائق، وتختلط عَدِيدٌ من المفاهيم، وتختلّ الموازين، ويهلك بسببها خلق كثير، ويحتار جرَّاءها ذوو العقول والبصائر.

أضرار الفتن

وهكذا شأن الفتن إذا عظمت في الأمة، كما وصفها بذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بقوله: «تبدأ في مدارج خفية، وتؤول إلى فظاعة جلية، فتزيغ قلوب بعد استقامة، وتضلّ رجال بعد سلامة، وتختلف الأهواء عند هجومها، وتلتبس الآراء عند نجومها، من أشرف لَهَا قصمته، ومن سار فيها حطمته،

تغيض فيها الحكمة، وتنطق فيها الظلمة، وتكْلِم منارَ الدين، وتنقض عقد اليقين، تهرب منها الأكياس، وتدبّرها الأرجاس، مرعادٌ مبراق، كاشفة عن ساق، تقطَّع فيها الأرحام، ويفارَق عليها الإسلام»[١].

ثم يوجّه رضي الله عنه بعد ذلك إلى اجتناب الفتن فيقول: «فلا تكونوا أنصاب الفتن، وأعلام البدع، والزموا ما عُقد عليه حبل الجماعة، وبنيت عليه أركان الطاعة، واقدموا على الله مظلومين، ولا تقدموا عليه ظالمين، واتقوا مدارج الشيطان، ومهابط العدوان»[٢]. انتهى كلامه رضي الله عنه.

فما أعظمه من وصف بليغ، وبيان دقيق، لحقيقة الفتن وواقعها! وما أجلّها من نصائح صدرت من قلبٍ امتلأ إيمانًا ويقينًا، وبصيرةً وعلمًا، ابتُلي بالفتن فخبرها، واصطلى بنارها فصبر عليها، وأبلى بلاء عظيمًا في القضاء عليها، وسنّ فيها للأمة سننًا باقيات إلى أن تقوم الساعة!

فتنة هذا العصر

وما تزال الفتن في الأمة ـ يا عباد الله ـ تظهر عبر عصور الإسلام بين الحين والآخر، حتى ابتليت أمة الإسلام بما يحدث الآن على الساحة العالمية من أحداث وتداعيات، وما أبرزته من فتن تلاطمت أمواجها، ومحنٍ هاجت أعاصيرها، وطال بلادَ الإسلام وأهلَ الإسلام منها عظيمُ الأضرار وبالغ الأخطار، حتى تحيّر جراء ذلك ذوو الرأي والنُّهى، والعارفون بمجريات الأحداث، وعسُر عليهم التنبُّؤ بما تؤول إليه الأحوال في مستقبل الأيام، واشتغل عامة الناس بالمتابعة والتحليل لما يسمعون ويقرؤون.

(١) انظر: الطراز لأسرار البلاغة (١/ ١٧٠)، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (١/ ٢٥٦١).
(٢) انظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (١/ ٢٥٧٠).

استثمار المرجفين للفتن

واستغلَّ المرجفون هذه الأحداث لبثِّ الأكاذيب، واختلاق الأباطيل، وإشاعة الأراجيف، بالتوقعات والتكهنات، التي لم تُبنَ على حقائق ثابتة، ولَـمْ تستند إلى معلومات موثقة، وإنما هي تخرّصات وأوهام، تشيع في المجتمعات البلبلةَ، وتشغل الرأي العام بما لا طائل تحته، وما هكذا يكون حال الأمة عند تأجج الفتن، ولا هكذا يكون شأن المسلم عند حلول المحن، فإن الواجب على أمة الإسلام في مثل هذه الأحوال أن تراجع دينها، وتصحِّح مسيرتها، وأن تحكّم شرع الله على عباد الله في جميع الشؤون وعلى كل المستويات، وأن تعود إلى ربها، وتقبل على طاعته والإنابة إليه، وأن تكثر من الاستغفار والتوبة والتضرع إلى الله جل وعلا لأن ينصر دينه، ويعلي كلمته، وأن يحفظ المسلمين من كيد الكائدين، وشر الأعداء المتربصين، فإن ذلك من أسباب تنزل الرحمات الإلهية، والألطاف الربانية، وزوال الخطوب المدلهمَّة، وارتفاع البلاء عن الأمة، كما قال ﷻ: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النمل: ٤٦]، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تكون فتنة لا ينجي منها إلا دعاءٌ كدعاء الغريق» [رواه ابن أبي شيبة والحاكم نحوه وصححه][1].

الرجوع إلى الله في الفتن

الواجب على المسؤولين في زمان الفتن

وإن من الواجب على أصحاب القرار، وذوي التأثير في الأمة أن يعملوا على جمع كلمة المسلمين، وتوحيد صفوفهم، والوقوف ضدّ قوى الشر والعدوان، وذوي البغي والفساد، وأن يسعوا جاهدين

(١) أخرجه ابن راهويه في مسنده (٤٢٤)، والبيهقي في الشعب (٢/ ٤٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا، وأخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٥٣١) عنه موقوفًا، وجاء من حديث حذيفة كذلك، أخرجه الحاكم (١/ ٥٠٧، ٤/ ٤٢٥)، والبيهقي (٢/ ٤٠)، وصححه الحاكم على شرطهما، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٧٤) وضعفه الألباني في الضعيفة (٥٤٦٧٠).

في إطفاء نار الفتنة، وإزالة أسبابها، والتخفيف من وطأتها قدر الطاقة والاستطاعة، بما يحقق مصالح أمة الإسلام، ويدرأ عنها المفاسد، ويجنّبها المخاطر.

الواجب على عامة المسلمين في زمان الفتن

وأما سواد الناس وعامتهم فإن الأولى في حقهم، وهو من حصافة الرأي ونفاذ البصيرة، أن يكفوا عن الخوض في الفتن، وأن يُقبِل كل فرد منهم على ما يعنيه أمرُه، ويهمه شأنُه، في خاصة نفسه، من عبادات دينية، وواجبات دنيوية، وأن يحفظ لسانه، وسائر جوارحه عن الدخول في شيء من أمر الفتنة؛ إذ بهذا وجَّه رسول الهدى ﷺ أمتَه، مبينًا ﷺ أن العمل بذلك دليل سعادة المرء وتوفيقه، ومن أسباب نجاته وسلامته، فقد روى أبو داود وغيره عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: أيم الله، لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن السعيد لمن جُنّب الفتن، إن السعيد لمن جنِّب الفتن، إن السعيد لمن جُنّب الفتن، ولمن ابتلي فصبر [فواهًا]**»[1].

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ستكون فتنة صماء [بكماء] عمياء، من أشرف لها استشرفت له، وإشراف اللسان فيها كوقع السيف**» [رواه أبو داود وابن ماجه][2].

(١) أخرجه أبوداود في كتاب الفتن رقم(٣٧١٩)، والبزار في مسنده (٦/ ٤٦)، والطبراني في الكبير (٢٠/ ٢٥٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٢٧٤٣). «واها» كلمة معناها التلهّف، وقد توضع للإعجاب بالشيء، قاله المنذري.

(٢) أخرجه أبوداود في كتاب الفتن (٣٧٢٠)، وفي سنده عبد الرحمن بن البليماني ضعيف كما في التقريب، والحديث ضعَّفه الألباني في الضعيفة (٢٤٧٩).

ولهما أيضًا عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: بينما نحن حول رسول الله ﷺ إذ ذكر الفتنة فقال: «إذا رأيتم الناس قد مرجت عهودهم، وخفّت أماناتهم، وكانوا هكذا» وشبّك بين أصابعه، قال: فقمت إليه فقلت: كيف أفعل عند ذلك؟ جعلني الله فداك؟ قال: «الزم بيتك، واملك عليك لسانك، وخذ بما تعرف، ودع عنك ما تنكر، وعليك بأمر خاصة نفسك، ودع عنك أمر العامة»[1].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بين أيديكم فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمنًا، ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا، ويصبح كافرًا، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي»، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «كونوا أحلاس بيوتكم» [رواه أبو داود والحاكم وصححه][2].

موقف الصحابة من الفتن

ووفق هذه التوجيهات النبوية سار أعلام الصحابة والتابعين، وأئمة الإسلام المَرْضِيِّين، وأرشدوا الأمة إلى ذلك، فقد قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه وهو من أعلم الأمة بأمر الفتن: «إياكم

---

(١) أخرجه أحمد (١١/ ٥٤) (٦٥٠٨)، وأبوداود في كتاب الملاحم رقم(٣٧٨٠)، وابن ماجه في كتاب الفتن رقم(٣٩٤٧)، وصححه الحاكم (٤/ ٣١٥) ووافقه الذهبي، وحسن إسناده المنذري في الترغيب، وكذا العراقي في فيض القدير (١/ ٣٥٣)، وانظر: تخريجه في السلسلة الصحيحة (٢٠٥).

(٢) أخرجه أحمد (٣٢/ ٤٣٢) (١٩٦٦٢)، وأبوداود في الفتن (٤٢٦٢)، والحاكم (٤/ ٤٤٠) وصححه، وفي سنده أبو كبشة وهو مجهول، قال المنذري: «وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة في الصحاح وغيرها»، ولذا صححه الألباني في صحيح الترغيب (٢٧٤٢)، والحلس هو الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب، يعني الزموا بيوتكم في الفتن كلزوم الحلس لظهر الدابة، قاله المنذري.

والفتن، لا يشخص إليها أحد، فوالله ما شخص فيها أحد إلا نسفته كما ينسف السيل الدمن[1]، فإذا رأيتموها فاجثموا في بيوتكم، وكسّروا سيوفكم، واقطعوا أوتاركم، وغطوا وجوهكم»[2].

من أعظم مناقب الصحابة رضي الله عنهم اجتناب الفتن

وكذلك فعل عدد من خيار الصحابة كسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وغيرهما من أفاضل الصحابة الذين اجتنبوا الفتن، واعتزلوها في زمانهم، وحمدت الأمة صنيعهم، وعُدَّ ذلك من أعظم مناقبهم، كما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[3].

فاتقوا الله أمة الإسلام، واحذروا الفتن، ما ظهر منها وما بطن، وتوبوا إلى الله تعالى، وتقربوا إليه بصالح الأعمال، واستديموا دعم إخوانكم اللاجئين في أفغانستان، والمضطهدين في فلسطين، وفي غيرهما من سائر الأوطان، فإن ذلك مما تقتضيه أخوة الإيمان، ومن أفضل أنواع البر والإحسان، ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠].

وتضرعوا **- أيها المؤمنون -** إلى ربكم جل وعلا أن يكشف عن أمة الإسلام البلاء والفتن، وأن يرفع عنها المصائب والمحن، فإنه سبحانه سميع مجيب، وإنه تعالى نعم المولى ونعم النصير.

---

(١) **الدِّمْن**: السرقين المتلبّد والبعر، كما في القاموس المحيط.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١١/ ٣٥٩)، ومن طريقه نعيم بن حماد في الفتن (١/ ١٤٠، ١٧٧)، والحاكم (٤/ ٤٩٥)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٧٣)، وصححه الحاكم، وفي سنده عمارة بن عبد الراوي عن حذيفة، لم يرو عنه غير أبي إسحاق، قال الذهبي في الميزان (٣/ ١٧٧): «مجهول لا يحتجّ به».

(٣) انظر: منهاج السنة (٤/ ٢٨٣).

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضى، أحمده سبحانه وأشكره على نعمه العظمى، وآلائه التي تترى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، العلي الأعلى، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله النبي المصطفى، والخليل المجتبى، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، أئمة الهدى، وبدور الدجى، ومن سار على هديهم واقتفى، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فيا عباد الله، اتقوا الله حق تقاته، واستقيموا على طاعته ومرضاته، وتقربوا إليه سبحانه بما يحب ويرضى من صالح الأقوال وأزكى الأعمال، والعمل بتوجيهات سيد الأنام، صلوات الله وسلامه عليه، الذي ما فتئ في نصح الأمة وإرشادها إلى كل ما يحقق لها الخير والسعادة، ويجنبها أسباب الشقاء والضلالة.

المبادرة إلى الأعمال الصالحة

وإن من عظيم نصائحه، وجليل توجيهاته للأمة ما حثَّ عليه من اغتنام أيام العمر، وأوقات الحياة، بجلائل الطاعات وأنواع القربات، قبل أن ينزل بالمرء ما يمنعه من ذلك، من فتن خاصة أو عامة، فيندم حينئذ على تفريطه وإهماله، ولات ساعة مندم.

وإن من أعظم توجيهاته ﷺ في ذلك ما روى الترمذي وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال سبعًا: هل تنتظرون إلا فقرًا منسيًا، أو غنى مطغيًا، أو مرضًا مفسدًا، أو هرمًا**

مفنِّدا، أو موتًا مجهزًا، أو الدجال فشر غائب يُنتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمرّ»[1] ، قال بعض العلماء تعليقًا على هذا الحديث: «والمقصود منه الحث على البدار بالأعمال قبل حلول الآجال، واغتنام الأوقات قبل هجوم الآفات»[2] .

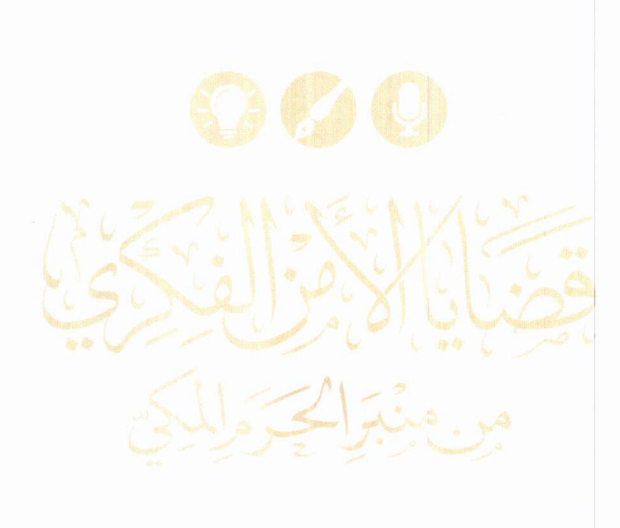
الحذر من البدع

فاتقوا الله عباد الله، وسارعوا إلى الطاعات، وسابقوا الفتن بالصالحات، واحذروا البدع والمحدثات، فإن مما أحدث بعض الناس في هذا الشهر، الاحتفاء بليلة النصف من شعبان، وتخصيصها بأنواع من العبادات، رغم أن ذلك لم يثبت فيه نقل صحيح عن رسول الله ﷺ، ولا عن صحابته، ولم يؤثر فعله عن سلف هذه الأمة، وإنما هو أمر محدث كما نبّه على ذلك الإمام النووي والإمام العراقي وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمهم الله، وغيرهم من أئمة الإسلام، فلتجتنبوا ذلك عباد الله، حرصًا على اقتفاء هدي رسول الله ﷺ، فإن خير الهدي هدي رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالسمع والطاعة، ولزوم الجماعة، فإن يد الله على الجماعة، ومن شذّ شذّ في النار.

• ○ • ○ •

(١) أخرجه الترمذي في الزهد (٢٢٢٨) من طريق محرز بن هارون عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث الأعرج عن أبي هريرة إلا من حديث محرز بن هارون». ومحرز بن هارون متروك كما في التقريب. وأخرجه الحاكم (٤/ ٣٢٠، ٣٢١) من طريق معمر عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: «صحيح إن كان معمر سمع من المقبري»، والصحيح أن الحديث ليس من رواية معمر عن المقبري بل بينهما رجل لم يسمّ، ولذا ضعّف هذا الحديث الألباني في السلسلة الضعيفة (١٦٦٦). وقد صُرِّح باسم هذا الرجل عند الطبراني في الأوسط (٤/ ١٩٢)، فأخرجه من طريق معمر عن محمد بن عجلان عن المقبري عن أبي هريرة، ومحمد بن عجلان صدوق اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة.

(٢) هو الإمام العلائي كما في التنوير شرح الجامع الصغير (٤/ ٥٣٠)، وفيض القدير (٣/ ١٩٥).


قضايا الأمن الفكري
من منبر الحرم المكي

فتنة اختلال الأمن

فضيلة الشيخ الدكتور: سعود بن إبراهيم الشريم | الخطبة الأولى

أمّا بعد: فيا أيها الناس، إنَّ واقعَنا اليومَ لهو واقعٌ موحِش، تتلاطم فيه ظلماتُ الفِتَن كتلاطُم موج بَحر لُجِّيّ، يغشاهُ موجٌ من فوقه موجٌ من فوقه سحاب، ظلماتٌ بعضها فوق بعض، وإنّ غواسِقَ هذه الفتن قد أحاطت بنا من كلِّ جانب، وأخذت بأفئدتنا كلَّ مأخَذ، بل وتخطَّفتنا على غِرَّة كما تتخطّف الزوابع نِثار الأرض.

إنَّها لفتنٌ عمياء صمَّاء بكماء، تَدعُ الحليم حيرانًا واللَّبيبَ مذهولًا، ذلكم الحليم الذي رُزق خَصلةً يحبُّها الله ورسوله ﷺ، الحليمُ الذي إذا شُتِم صبر وإذا ضُرِب غفَر، إنّه ليُرى إبَّان هذه الفتن حيرانًا من هول الوقع وعِظَم الخطب!

توالي الفتن نوع من التمحيص والبلاء

وهذه الفتنُ التي تعترينا حينًا بعد آخر إنما هي في حقيقتها تمحيصٌ وابتلاء، ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ﴾ [الأنفال:٣٧].

في الصحيحين أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «ستكون فتنٌ القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائمُ فيها خير من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي، من تشرَّف لها تستشرفْه... الحديث»[1]، يقول الحافظ ابن حجر في معنى قوله: «من تشرَّف لها»: «أي: تطلَّع لها بأن يتصدَّى ويتعرَّض لها، ولا يُعرض عنها»[2].

(١) صحيح البخاري: كتاب الفتن (٧٠٨١، ٧٠٨٢)، صحيح مسلم: كتاب الفتن (٢٨٨٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) فتح الباري (١٣/ ٣١).

ظاهرة الإخلال بالأمن

أيها المسلمون، لقد تكاثرت في هذه الآونةِ حلقاتُ الإخلال الأمنيّ في المجتمع المسلم، وقلَّت في واقعنا هيبةُ الدم المسلم وحرمتُه وعصمتُه، ولقد أشار المسلم بالسِّلاح إلى أخيه المسلم، بل وأفرَغ حشوَه فيه، وهذا ما لا كُنّا نعهدُه في زمَن الاستقرار الوارف والطمأنينةِ التي عمَّت المجموع، فما الذي غيَّر الأمرَ عن مجراه؟ ولأيِّ شيء يختلف اليومُ عن الأمس؟ وما هو السبيلُ للخروج من عُنُق الزجاجةِ القاتل؟

هذه كلُّها أسئلةٌ تستدعينا إلى التركيز على أهمِّ المعطَيَات التي ينبغي الوقوفُ أمامها بصِدق، والتعامُلُ معها بنيَّة إصلاحِ ما في النفس؛ ليصلِحَ الله ما في الواقع، وهذه المعطياتُ ليست بالقليلة، غيرَ أنَّ العجالةَ تضطرُّنا إلى ذكر الأهمّ، **وذلك في الأمور التالية:**

كثرة القتل من علامات الساعة

- **الأمر الأوَّل:** أنّ الاختلال الأمنيّ المتمثِّلَ في كثرةِ القتل وإزهاق الأنفس البريئة دونَ بُرهانٍ من الله، لهو من علامات آخر الزمان المنذِرةِ بدنُوِّ الساعة التي لا يعلَمها إلَّا الله.

ففي الصحيحين أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **«يتقاربُ الزمان، وينقُص العمل، ويُلقى الشحّ، وتظهرُ الفتن، ويكثر الهَرج»**، قالوا: يا رسول الله، وما الهرج؟ قال: **«القتل القتل!»**[1].

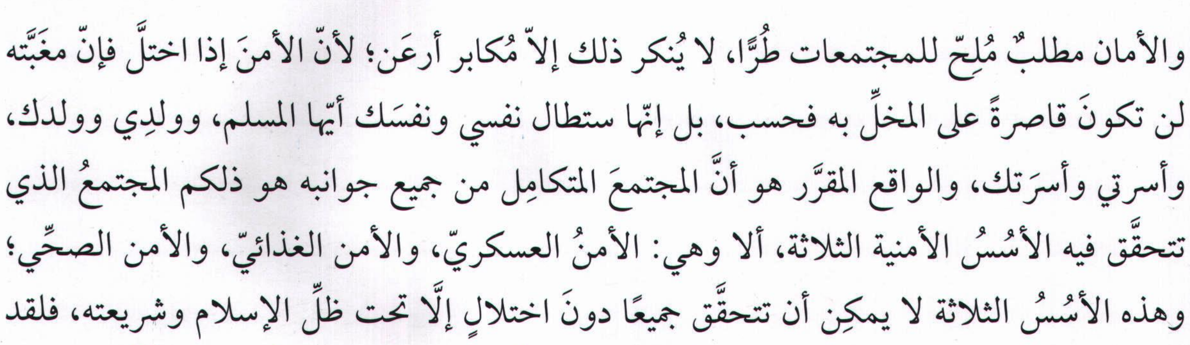
أهمية مطلب الأمن

- **والأمر الثاني عباد الله:** أنَّ استقرارَ المجتمع المسلِم الذي يهنأ فيه بطعامه ويُسيغ شرابَه ويجعَل نهارَه فيه معاشًا ونومَه سباتًا وليله لباسًا، لا يُمكن أن يتحقَّق إلَّا تحتَ ظلِّ الأمن الوارفِ، فالأمنُ

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الفتن (٧٠٦١)، صحيح مسلم: كتاب العلم (١٥٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.





والأمان مطلبٌ مُلِحّ للمجتمعات طُرًّا، لا يُنكر ذلك إلاّ مُكابر أرعَن؛ لأنّ الأمنَ إذا اختلَّ فإنّ مغبَّته لن تكونَ قاصرةً على المخلِّ به فحسب، بل إنّها ستطال نفسي ونفسَك أيّها المسلم، وولدِي وولدك، وأسرتي وأسرَتك، والواقع المقرَّر هو أنَّ المجتمعَ المتكامِل من جميع جوانبه هو ذلكم المجتمعُ الذي تتحقَّق فيه الأسُسُ الأمنية الثلاثة، ألا وهي: الأمنُ العسكريّ، والأمن الغذائيّ، والأمن الصحِّي؛ وهذه الأسُسُ الثلاثة لا يمكِن أن تتحقَّق جميعًا دونَ اختلالٍ إلَّا تحت ظلِّ الإسلام وشريعته، فلقد صحَّ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «من أصبَح آمنًا في سِربه معافًى في جسدِه عنده قوتُ يومِه فكأنَّما حِيزَت له الدنيا بحذافيرها» رواه الترمذي وابن ماجه[1].

تحريم أحداث التفجير

• **والأمر الثالث عباد الله:** أنَّ أحداثَ التفجير الماضِية والتي استهدَفت معصومي الدمِ فيها لهي أمرٌ لا يرضاه دينٌ ولا عقل ولا عُرف، وشجبُه واستنكاره درجةٌ واجبة من درجاتِ تغيير المنكَر، وأما الرِّضا به والفرحُ فهو لونٌ من ألوان الخيانةِ في الباطن.

حرمة المسلم وعصمة دمه واحترام حق السلطان المسلم

فالنصوصُ الشرعية متكاثِرة في بيان حُرمة المسلم وعِصمة دمه، وبيان احترامِ حقِّ السُّلطان المسلم وعدمِ الافتيات عليه وعلى أهلِ العلم: فاللهُ جلّ وعلا يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، ويقول جلَّ شأنه حكايةً عن ابنَي آدم عليه السلام: ﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ [المائدة: ٢٧]، هذه هي حكايةُ ابنَي آدم، أنَّ بدايةَ القتل كانت مِن وَلَد ابن آدم.

(١) تقدم تخريجه، ص(١١٧).

وفي صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: «إذا مرَّ أحدُكم في مسجدِنا أو في سوقنا ومعه نبلٌ فليمسِك على نِصالها ـ أو قال: فليقبِض بكفِّه ـ أن يصيبَ أحدًا من المسلمين منها بشيء»[1]، وفي الصحيحين أنَّ النبي ﷺ قال: «من حَمَل السلاحَ علينا فليس منا»[2]، وفيهما أيضًا قوله ﷺ: «سِبابُ المسلم فُسوق وقتاله كفر»[3].

وروى الإمام أحمد في مسنده عن الحَسَن البصري أنه قال: إنّ عليًّا رضي الله عنه بعث إلى محمد بن مَسلمَة، فجيء به فقال: ما خلَّفك عن هذا الأمر؟ يعني: القتال بينه وبين خصُومه رضي الله عنهم أجمعين، قال: دفَع إليَّ ابنُ عمك ـ يعني النبي ﷺ ـ سيفًا فقال: «قاتِل به ما قُوتل العدوّ، فإذا رأيتَ الناس يقتُل بعضُهم بعضًا فاعمَد به إلى صَخْرة فاضربه بها، ثم الزَم بيتَك حتى تأتيكَ منيةٌ قاضية أو يدٌ خاطئة»، فقال عليّ رضي الله عنه: خلُّوا عنه[4].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الفتن (٧٠٧٥) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وأخرجه مسلم في كتاب البر والصلة(٢٦١٥).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الفتن (٧٠٧٠، ٧٠٧١)، صحيح مسلم: كتاب الإيمان (٩٨، ١٠٠) عن ابن عمر وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهم. ورُوِيَ أيضا من حديث سلمة بن الأكوع وأبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم في كتاب الإيمان (٩٩، ١٠١).

(٣) صحيح البخاري: كتاب الفتن (٧٠٧٦)، صحيح مسلم: كتاب الإيمان (٦٤) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) مسند أحمد (٤/ ٢٢٥)، وأخرجه من طريقه الطبراني في الكبير (١٩/ ٢٣٥)، قال ابن حجر في الإصابة (٦/ ٣٤): «الحسن لم يسمع من محمد ابن مسلمة»، فهو لم يشهد القصة. وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٤٤٤)، وابن أبي شيبة (١٥/ ٢٢) من طريق أخرى عن الحسن عن محمد بن مسلمة مرفوعًا وليس فيه قصة علي رضي الله عنه، ورَوَاه أيضا مرفوعًا غير الحسن عن محمد بن مسلمة، فهو بمجموع طرقه ثابت إن شاء الله، قال الحاكم في المستدرك (٣/ ١٢٧): «فبهذه الأسباب وما جانسها كان اعتزال من اعتزل القتال مع علي رضي الله عنه وقتال من قاتله»، صححه الألباني في الصحيحة (١٣٨٠).

ونقل ابن عبد البر عن بعض السلف قوله: «أحقُّ الناس بالإجلال ثلاثةٌ: العلماءُ والإخوان والسلطان، فمن استخفَّ بالعلماء أفسَد [دينَه، ومن استخفَّ بالإخوان أفسَد] مروءتَه، ومن استخفَّ بالسلطان أفسد دنياه، والعاقل لا يستخفّ بأحد»[1].

الاتزان في تشخيص الداء

• **أما الأمر الرابع عباد الله:** فهو ضرورةُ تشخيص هذا البلاء، تشخيصًا نزيهًا عاريًا عن الشُّبُهات والأهواء؛ للوقوف على أسبابِه والبحثِ عن العلاج الأمثلِ له، وألَّا يجاوزَ التشخيصُ موضعَ الداء، بحيث إنه لا يجوز أن يُلقى باللَّائمةِ على غير مرتكبي تلكم الأحداث، فلا يجوز أن ينسَبَ السببُ إلى التديُّن مثلًا، أو إلى علوم الشريعة ومناهجها، أو إلى العلماءِ والدعاة المخلِصين، فإنَّ السرقةَ في المسجِد لا تستدعي هدمَ المسجد، كما أنَّ عدمَ فَهمِ الشريعة والتديُّن لا يعني إلغاءَهما من واقع الحياة، ولو تستَّر لصٌّ في حجابِ امرأة فلا يعني ذلك إلغاءَ الحجاب بالمرَّة.

فليتَّق الله أولئك الذين يشوِّشون عند كلِّ حَدَث سانِح، فيرمون أصالتنا وتمسُّكنا بديننا ردحًا من الزَّمن بأنه هو سببُ هذه الحوادثِ والمعضلات، فيكون هذا التَّشويش تكأةً يتَّكئ عليها أعداءُ الإسلام من الكَفَرة الحاقدين ومن المعجَبين بهم، وباعثًا سائغًا لهم في تمرير ما مِن شأنه فرضُ المسوِّغات المشروعة بزعمهم بالضغوط المتتالية على حِياض المسلمين، فيأتيهم مثلُ هذا التهويش والتشويش على طبَق من ذهب ليجتاحوا بلادَ المسلمين بأدنى الحِيَل.

ولا جَرَم - عباد الله - إذ الخَطَر من قِبَل التشويش الداخليّ أشدُّ وقعًا من التشويش الخارجي، وإنَّ مثَلَ الناعقين عبرَ وسائلَ متعدِّدةٍ في وجه الدين والتديُّن والمناهج النيِّرة والاستقامة المشهودة في

(١) نُقل هذا الكلام عن ابن المبارك رحمه الله، انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٥١).

المعتَقَد والفكر، كمثل ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «ضاف ضيفٌ رجلًا من بني إسرائيل وفي داره كلبة، فقالت الكلبة: والله لا أنبحُ ضيفَ أهلي، قال: فعَوى جِراؤها[1] في بطنها قال: قيل: ما هذا؟ قال: فأوحى الله عز وجل إلى رجلٍ منهم: هذا مثلُ أمّةٍ تكون مِن بعدكم يقهَر سفهاؤها أحلامَها»[2].

علاج الفكر بالفكر

وحاصل هذا الأمر ـ عباد الله ـ هو أن يعالَجَ الفكرُ بالفِكر، وألَّا يستغلَّ الخطأ في إذكاء تفريق الكلمة وإضعافِ التديّن، فقد قُتل عليٌّ رضي الله عنه بأشدَّ من هذا ولم يُلق باللائمة على الدين وأهله، وإنما كانت اللائمةُ والرَّدع على ذوي الفِكر أنفسِهم، وهم الخوارج الذين خرجوا عليه ورأوا أنَّ قتلَه رضي الله عنه وتخليصَ الأمة منه من أعظم القُرُبات إلى الله بزعمهم، عليهم من الله ما يستحقّون، بل لقد وصفَ أحدُ شعرائهم عبدَ الرحمن بنَ مُلجم قاتلَ عليّ رضي الله عنه بأنه أوفى البريَّة عند الله ميزانًا، والقائلُ هو عِمران بن حِطّان الخارجي الذي قال مادِحًا قاتل علي:

يا ضربةً من تقيٍّ ما أراد بها ... إلاَّ ليبلغَ من ذي العرش رضوانًا

إني لأذكُره يومًا فأحسبه ... أوفى البريّة عند الله ميزانا[3]

---

(١) قال الرامهرمزي في الأمثال (ص١٠٠): «الجِراء جمع جِرو بكسر الجيم، وهو ولد الكلبة. وعوى الكلب إذا صاح، وهو العُواء بضم العين ممدود. وهذا مثل في استعلاء السفهاء وتطاول الأشرار. والسفه نقيض الحلم، وهو في معنى الجهل، وأصله التنقّص في العقل، ويستعمل في بذاء اللسان ورفث القول».

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٧٠)، وأخرجه أيضا البزار (٢٤١٢)، والرامهرمزي في الأمثال (٦٠)، قال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٨٠): «فيه عطاء ابن السائب وقد اختلط»، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٣٨١٢).

(٣) انظر: الاستيعاب (٣/ ١١٢٨)، والسير (٤/ ٢١٥)، والإصابة (٥/ ٣٠٣).

كبُرت كلمةً تخرجُ من فمه، إن يقولُ إلَّا كذبًا!

وقد ردَّ عليه بعضُ أهل السنة بقوله:

بل ضربةٌ من شقيّ أوردته لظى وسوف يلقى بها الرحمن غضبانا
إني لأذكرُه يومًا فألعنه أيضًا وألعنُ عِمرانَ بنَ حِطّانا[1]

والشاهد من هذا ـ عباد الله ـ أنَّ الصحابةَ ﭫ لم يثنِهم فعلُ الخوارج عن زيادةِ تمسُّكهم بدينهم، واستلهام لُطفِ الله ورحمته بهم، والثباتِ على الدين، رغمَ ما اعتراهم من نوابتَ شذّت عن سوادِهم الأعظم.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [المائدة: ١٠٥].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، قد قلتُ ما قلتُ، إن صوابًا فمن الله، وإن خطأً فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله إنّه كان غفارًا!

•○•○•

(١) انظر: الاستيعاب (٣/ ١١٢٩)، والإصابة (٥/ ٣٠٣).

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده.

وبعد: فاتقوا الله معاشرَ المؤمنين، واعلموا أنَّ ثَمَّةَ أمرًا خامسًا لا يقلّ أهميّةً عمّا مضى ذكرُه، ألا وهو: التأمُّل في الحال والواقع، ومحاسبةُ النفس على التقصير والتفريط في جنب الله، وإصلاحُ مواطن الخَلل في النفس والمجتمع؛ فإنه ما نزل بلاءٌ إلا بذنب، ولا رُفع إلَّا بتوبة صادقةٍ إلى الله، ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٥]، ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل: ١١٢]، ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦].

ما نزل بلاء إلا بذنب

إنَّ الذنوبَ والمعاصي وضعفَ التمسُّك بشريعة الله في النفس والمالِ والمجتمَع لهي مِن دواعي الاختلال الأمنيّ وترادُف الكوارث والخطوب، مما يستدعي اللُّجوءَ إلى الله، وارتقاب لُطفه، وتغيير ما في النفس؛ ليغيِّر الله الحالَ إلى ما هو خير: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ [الرعد: ١١].

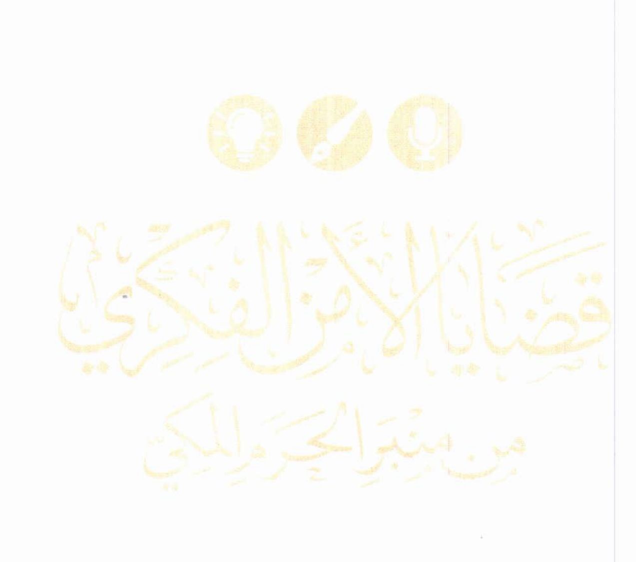
روى البيهقي وابن ماجه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنتُ عاشرَ عشرة رهطٍ من المهاجرين عند رسول الله ﷺ، فأقبل علينا بوجهه فقال: «**يا معشر المهاجرين، خمسُ خصال أعوذ بالله أن تدركوهن: ما ظهرتِ الفاحشةُ في قوم حتى أعلَنوا بها إلَّا ابتُلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين**

مضوا، ولا نَقَص قومٌ المكيالَ إلا ابتُلوا بالسنين وشِدّة المؤونة وجَور السلطان، وما منع قومٌ زكاةَ أموالهم إلَّا مُنِعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطَروا، ولا خَفَر قومٌ العهدَ إلَّا سلَّط الله عليهم عدوًّا من غيرهم فأخذوا بعضَ ما في أيديهم، وما لم يعمَل أئمَّتُهم بما أنزل الله في كتابه إلَّا جعَل الله بأسَهم بينهم»[1]، ولقد صدق الله: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٌ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران:١٦٥].

هذا وصلّوا ـ رحمكم الله ـ على خير البرية وأزكى البشرية، محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب، صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله بأمرٍ بدأ فيه بنفسه، وثنّى بملائكته المسبِّحة بقدسه، وثَلَّثَ بكم أيها المؤمنون، فقال جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهمّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد، وارض اللهم عن خلفائه الأربعة: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم.

(١) سنن ابن ماجه: كتاب الفتن (٤٠١٩)، شعب الإيمان للبيهقي (٣/ ١٩٧)، وصححه الحاكم (٤/ ٥٤٠)، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني بمجموع طرقه في السلسلة الصحيحة (١٠٦).



قضايا الأمن الفكري
من منبر الحرم المكي

الخــوارج المعــاصرون

الخطبة الأولى

فضيلة الشيخ: صالح بن محمد آل طالب

الحمد لله، الحمد لله الذي يُتابعُ على عبادِه المواسِمَ، وقد جعل شهر رمضان من خيرِها، وجعل فيه الفتوحَ والوقائع الحواسِم، فكم له - سبحانه - في شرعِه من أسرارٍ وألطافٍ، وفي قضائِه وقدرِه تفريجٌ مما نحذرُ ونخاف.

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل دينَه وأُمةَ الإسلام وسطًا، وحذَّر ممن غلا في دينِه واستحلَّ دمَ المُسلمين وسطَا، وأشهد أن محمدًا عبدُ الله ورسولُه، بشَّر بهذا الشهر واستبشَر، وأرى اللهَ من نفسِه خيرًا، فاجتهَد وشدَّ المِئزَر، صلَّى الله وسلَّم وبارَك عليه، وعلى آلِه وخُلفائِه أبي بكرٍ رفيق الهِجرة والغار، وعلى عُمر شهيد المجوس وعُبَّاد النار، وعلى عُثمان وعليٍّ قتلَى الخوارِج كلاب النار، وصلَّى على سائر أصحابِ النبي وأتباعِه إلى يوم الدين.

أما بعد: فقد أكرمَنا الله بشهر الصيام، وجعله زادًا للتقوى ومربَحًا للأجور، وكفارةً للآثام. وأنتم في شهرٍ فُرِضَ عليكم لتتقوا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣]. وفي خِتام آياتِ الصيام: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٧].

الحث على اغتنام رمضان

أيها المسلمون، شهرُ رمضان المُبارَك فرصةٌ لمن كان في حياتِه مُقصِّرًا ليلحَق، ولمن استحقَّ بذنبِه النارَ ليُعتَق، ولمن كان في طاعاته متأخرًا ليكون الأسبَق. ومن أدركَه شهرُ رمضان ولم يُغفَر له فأبعدَه الله!

وقد قاربَ شهرُنا أن ينتصِف، إلا أن مراكِبَه لم يزَل فيها مُتَّسَعٌ لُمستعتِب، ولياليَه لم تزَل مطايا للظاعِنين إلى عفوِ الله ومراضِيه، ومُوصِلةً لمن شفَّه الشوقُ لأن يكون في رِكابِ المُقرَّبين، ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ١٠- ١٤].

فأرُوا اللهَ من أنفُسِكم خيرًا، وادَّخِروا من هذه الأيام لحياتِكم الأُخرى؛ فإن الأيام تُطوَى سِراعًا، ويُساقُ الأحياءُ إلى قبورِهم تِباعًا، وما ثمَّة إلا العملُ الصالح ورحمةُ أرحم الراحمين.

أيها المسلمون، في مثلِ هذه الأيام من رمضان، وقبل ثلاثٍ وثلاثين وأربعمائةٍ وألفٍ من السنين.. حدثَت غزوةُ بدرٍ الكُبرى، والتي سمّاها الله: «يوم الفُرقان»... وهي أولُ مُواجهةٍ عسكريةٍ في الإسلام، تبِعَتها مغازٍ وحروب، فرضَها نُشوءُ الدولة المُسلمة الحديثة وكثرة مُناوِئيها.

غزوة بدر

ومنذ ذلك الحين نشأَت مبادئُ حربٍ لم تُعرف في مبادِئِ الأمم السابقة، ولم تُعهد في سُلوك المُحارِبين، امتزجَ الحزمُ فيها بالرحمة، حتى قال أحدُ المُستشرقين: «كان المُسلمون أرحمَ غُزاةٍ عرفَهم التاريخ».

أخلاق الحرب عند المسلمين الأوائل

كان القتالُ في مُواجهة من حمَلَ السلاحَ فحسب، وكانت أُولَى الخُطوات بعد التمكين: تأمين الناس، ووضعَ المظالِمِ والآصار عنهم، وعدمَ إكراه الناس على الدخول في الإسلام.

وكانت وصايا النبي ﷺ وخُلفائِه للمُجاهِدين: «**اغزُوا ولا تغلُّوا، ولا تغدِروا، ولا تُمثِّلوا، ولا تقتُلوا وليدًا، وإذا لقيتَ عدوَّك من المُشركين فادعُهم لثلاث خِصالٍ، فأيَّتُهنَّ ما أجابُوك فاقبَل منهم وكُفَّ عنهم**»[1] رواه مسلم.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد رقم (٣٣٦١) عن بريدة رضي الله عنه.

وصايا السلف

وفي وصايا أخرى منه ومن خُلفائِه وقادة جُنده: «لا تغُلُّوا، ولا تغدِروا، ولا تقتُلوا وليدًا، ولا امرأةً، ولا كبيرًا فانيًا، ولا مُنعزِلًا بصومَعة، ولا تُؤذُوا راهبًا أو عابدًا، ولا تعقِروا نخلًا ولا تحرِقوه، ولا تقطعوا شجرةً مُثمرةً، واتقوا الله في الفلاحين»[(١)].

وهذه الوصايا في حالِ المُواجَهة مع كُفَّارٍ مُحارِبين؛ بل فوق ذلك .. فإنه يجبُ الإمساكُ عمن نطقَ الشهادتَين - وإن كان سيفُه يقطُرُ من دمِ المُسلمين-، كما في خبرِ أُسامة بن زيدٍ المشهورِ في «الصحيحين»، ولما اعتذرَ أُسامةُ رضي الله عنه بأنه إنما قالَها مُتعوِّذًا. قال له النبي صلى الله عليه وسلم : «أفلا شقَقتَ عن قلبِه؟! ماذا تفعلُ بـ لا إله إلا الله؟!»[(٢)].

أيها المؤمنون الصائمون: رمضان شهر الذكريات والفتوحات والانتِصارات: في رمضان كانت غزوة بدرٍ وفتح مكة، وغيرُها مما كان سببًا في رِفعة الإسلام، وحفظِ الأمن، وقِيام الحضارات. تمُرُّ بنا هذه الذكريات والأمةُ مُثقلةٌ بالآلام، مُثخنَةٌ بالجِراح .. تمُرُّ بنا هذه الذكريات والمسلمون اليوم أكثرَ ما كانوا حملًا للسلاح، وبذلًا للأرواح، ولكن على بعضِهم .. والصائمُ يقتلُ صائمًا، والمُصلِّيان يقتتِلان، وكلٌّ منهما يُريد الفردوسَ بدمِ صاحبِه! في مشهدٍ فوضويٍّ يجعلُنا نشهدُ موسِمًا للانكِسارات والانتِكاسات.

تُطيفُ بنا ذكرى معركة بدرٍ وأخلاق المُسلمين في حروبهم .. وكثيرٌ من بلاد المُسلمين اليوم بها احتِراق، وبأيدِي كثيرٍ منهم أسلِحةٌ وحِراب. وعلى رغمِ احتِلال بعضِ ديارِهم وتشتيتِ أهلِها، إلا أن السلاحَ مُوجَّهٌ لإخوانهم.

(١) انظر: السنن الكبرى للبيهقي رقم(١٨١٥٠) و(١٨١٥١) و(١٨١٥٢).

(٢) تقدم تخريجه، ص(٩٣).

المفاهيم المغلوطة

وتحوَّل معنى التحرير عند بعضِهم إلى استِلابِ أرضِ إخوانهم المُسلمين التي بها مساجِدُهم وبيوتُهم وأسواقُهم.. وصارَ القتلُ عند الكثيرين منهم تسليةً ومُتعةً، وفي أحوالٍ منه لأسبابٍ لا تستدعِي العتَبَ ولو باللسان.

وألبَسُوا جريمةَ انتِهاك الأعراض لباسَ السَّبيِ، والمسبِيَّات هنَّ نساءٌ مُسلماتٌ من ذُرِّيَّة مُسلمين، في هوَسٍ مجنونٍ يستبيحُون ذلك باسمِ الله وشرعِه، وهمُ الذين أساؤوا للدين على نحوٍ عجزَ أعداؤُه أن يبلُغوا ما بلغَ أولئك في الإساءة، في أعمالٍ قد تفوقُ ما عمِلَته جيوشٌ مُتوحِّشةٌ سطَّرَت أخبارَها كتبُ التاريخ.

تلاعب الأعداء بأهل الجهل

فاجتمعَت شِرذمةٌ جاهلةٌ، زالَ الدينُ من نفوسِهم، وانْمَحَتْ الإنسانيةُ من صُدورهم، لعِبَت بها مُخابراتُ العدوِّ لُعبتَها، ووجدَت في خواءِ عقولِهم من العلمِ والبصيرةِ بُغيتَها، ونصَّبَت عليهم شياطين في هيئة شُيوخٍ يُفتونَهم ليس بجهلٍ فحسب؛ وإنما بتضليلٍ مُتعمَّد .. حُدثاءُ الأسنان .. لا يُعرَفون بعلمٍ ولا سابقةٍ في الإسلام.

فأفسَدوا على المظلومين مطالِبَهم العادِلة في العيش الكريم .. ووأدوا تحرُّر المظلومين ممن ضامَهم .. وفتَحوا البابَ لتقسيمِ بلاد المُسلمين وشرذَمة شعوبهم.

الخوارج شر الخليقة

يستحلُّون الدمَ الحرامَ بأبشَع قِتلة .. ويسلُبون المالَ بأدنَى حِيلة .. ويُبيحُون انتِهاكَ العِرض بأوهَى سبب. في أحوالٍ تجلَّى معها استِحقاقُهم وصفَ النبي ﷺ: «**هم شرُّ الخليقة**».

كما روى مسلم في «صحيحه» عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه، أن رسولَ الله ﷺ قال: «**إن بعدي من أمَّتي قومٌ**

يقرؤون القرآن لا يُجاوِزُ تراقِيَهم، يخرُجون من الدين كما يخرُجُ السهمُ من الرمِيَّة ثم لا يعودُون فيه، هم شرُّ الخليقة»[1] ، وفي صحيح «ابن ماجه» قولُ النبي ﷺ: «الخوارِجُ كلابُ النار»[2].

الغلو والخروج هي أولُ بدعةٍ في الإسلام

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «من خرجَ من الطاعة، وفارقَ الجماعة، فمات ماتَ ميتةً جاهلية، ومن قاتلَ تحت رايةٍ عُمِّيَّة، يغضبُ لعُصبةٍ أو يدعُو لعُصبةٍ، أو ينصُرُ عُصبةً، فقُتِل فقِتلةٌ جاهليَّةٌ، ومن خرجَ عن أمَّتي يضرِبُ برَّها وفاجِرَها، ولا يتحاشَى من مؤمنِها، ولا يفِي لذي عهدٍ عهدَه فليس منِّي ولستُ منه»[3].

وفي «الصحيحين» عن النبي ﷺ: «أنهم يقتُلُون أهلَ الإسلام، ويدَعون أهلَ الأوثان، لئن أدركتُهم لأقتُلنَّهم قتلَ عاد»[4].

في أحاديث كثيرة، وأوصافٍ جليَّة أخذَت جماعاتٌ وعِصاباتٌ في مواطِن الفتن بحظٍّ وافِرٍ منها، أذاقُوا المُسلمين والمُجاهِدين السوء، وانخدَعَ بهم شبابٌ من بلاد المُسلمين، لحِقُوا بهم فمسَخُوا أفهامَهم.

وقد نجحُوا في إقناعِ أعدادٍ غير قليلةٍ بأن بلادَهم التي قدِموا منها دارُ حربٍ، وأن أهلَهم أعداءٌ مُحارِبُون، وأن أمهاتِهم وأخواتِهم وقريباتِهم حقُّهنَّ السَّبيُ .. في أخبارٍ لم تعُد تخفَى.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الكسوف رقم(١٠٦٧) عن أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣١/ ٤٧٤) رقم(١٩١٣٠)، والترمذي في كتاب التفسير رقم(٣٠٠٠)، وابن ماجه في كتاب الإيمان وفضائل الصحابة رقم(١٧٣)، وصححه الألباني في الصحيحة رقم(٣٤١٨).

(٣) تقدم تخريجه، ص(١٠٩).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء رقم(٣٣٤٤)، ومسلم في كتاب الكسوف رقم(١٠٦٤) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

واجب النصيحة لتسمية الأشياء بأسمائها

وروَّجُوا بأنه لم تعُد في الدنيا بلادُ إسلامٍ إلا الأرضَ التي استباحَتها عِصابةٌ باسمِ الخلافة، وما ثَمَّ مُسلِمون إلا من بايَعوا رئيسَ تلك العِصابة، في أحوالٍ تُوجِبُ على العُلماء وأصحاب الرأي تسميةَ الأشياء بأسمائِها، وتجلِيَة ألاعِيب العدوِّ وصِناعة المُخابرات المُعادِية؛ ليُعرَف العدوُّ فيُتَّقَى.

أولئك قومٌ لا غرضَ لأسلحتِهم إلا صُدورَ المُسلمين، ولا هدفَ لمُخطَّطاتهم إلا بلادَ المُسلمين.

إن الله لا يصلح عمل المفسدين

عباد الله، أيها المسلمون: إن كِيانًا يُريدُ أن يقوم على خَفر العهود، واستِحلال الدماء المعصومة، والغدر بإخوانهم، وحِماية الظالِم الباغِي لهو كِيانٌ مهتُوكُ السِّتر، مفضُوحُ الهدف، ولو تسمَّى بأجلِّ الأسماء فإن الله لا يُصلِحُ عملَ المُفسِدين.

فكيف وقد عُدِمَت فيه أساساتُ الحُكم الإسلاميِّ الراشِد، وقد طالَ بلادَنا شررٌ من تلك الشُّرور، آخرُها: ما حدثَ في جنوبِ المملكة؛ من حملِ غُلاةٍ للسلاح، والخُروجِ على جماعةِ المُسلمين، وقتلِ الأنفُس المعصومَةِ في نهار رمضان المُبارَك.

خسِروا الدينَ والدنيا.. وباعُوا أوطانَهم .. وأحدَثُوا حدثًا عظيمًا في شهرٍ كريم .. وفجَروا في بلادٍ أهلُها صائِمون قائِمون.. وأزهقُوا أنفُسًا صائمةً حارِسةً للمُسلمين .. نعوذُ باللهِ من سُوء الخاتِمة وشُؤم المصير.

العافية من الفتن والحذر من سوء الخاتمة

أيّها المسلمون، وبعد كل هذا الوضوح.. فإننا نُنادِي من لحِقَ بالغُلاة أن استعتِب ما دامَت روحُك في جسدِك، ولم يُختَم بعدُ عملُك، وإياك أن يُريقَ سلاحُك دمَ مُسلمٍ أو تتخوَّضَ في فتنٍ أنت منها في عافيةٍ.





فإن العالَمَ يتفهَّمُ أن تنتفِضَ عشائرُ على من سفَكَ دماءَها، واعتقلَ بنِيها، واعتدَى على بعضِ نسائِها، وهجَّر المسلمين السنَّةَ من ديارِهم، ولم يترُك حاكمُهم لهم في القوس منزَع.. فابتلاهُم في دينِهم وأعراضهم، ودمائِهم وأموالهم.

لـزوم طـاعـة الإمـام

وأما أنت ففي عُنقِك بيعةٌ لإمامٍ مُلزمٌ بطاعتِه، نهاكَ عن الخُروج، وفي وجودِك مفسدةٌ تفوقُ المصلحةَ التي نشدتَ، وفي تلك الديارِ رِجالٌ لا يُزايَدُ عليهم، وقد جرَّبَت بلادُنا وبلادُ المُسلمين مرارةَ النَّفير لمواطِن الصِّراع، عادَ في كثيرٍ من أحوالِه ببدعٍ وتكفيرٍ .. واستِحلال دماءٍ وتفجير.

مفاسد النفير إلى مواطن الصراع

ومع هذا؛ فإن على طلبَة العلم ومنابِر الإعلام، أن يكونوا على مُستوى الحدَث في التحذير والبيان .. فهذا دينٌ لا مُجاملةَ فيه .. وأمنٌ لا مُساومَة عليه.

وعلى وسائل الإعلام والكُتَّاب ألا يَزيدُوا الشَّرَر، ويُقيمُوا المُبرِّرَ للغُلاة، وذلك بتجاوُزاتِهم في دينِ الله، أو إيذاءِ المُصلِحين، واتهام شريعة الله واتهام مناهِج تعليمِنا بزراعة ذلك الفِكر؛ فإن فِكرةَ الغلُوِّ والخروجِ خصوصًا هي أولُ بدعةٍ في الإسلام؛ بل ظهرَت بوادِرُها في عهد النبي ﷺ.

كما روى الشيخان عن أبي سعيدٍ رضي الله عنه من حديث ذِي الخُويصِرة، أن النبي ﷺ قال عنه: **«فإن له أصحابًا يحقِرُ أحدُكم صلاتَه مع صلاتِهم، وصيامَه مع صيامِهم، يمرُقُون من الدين كما يمرُقُ السهمُ من الرمِيَّة»**[1].

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب رقم(٣٦١٠)، ومسلم في كتاب الكسوف رقم(١٠٦٤) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

الغلو لوثة قديمة

فالغُلُوُّ والخروجُ لوثةٌ قديمةٌ، وعلَّةٌ مُزمِنةٌ في التاريخ القديم قبل وضع مناهِج التعليم، وقبل تأسيسِ بلادِنا، بل إن أكثرَ حمَلَته نشأوا ودرَسُوا في بلادٍ تحكمُها العلمانية، وتتحكَّمُ في مناهِج تعليمِها.

فلتنتهِ المُزايَدات والاتهامات.. وعيبٌ على فردٍ أن يستغِلَّ مُصابَ بلدِه لتمريرِ أجندتِه وشهواتِه، فكثيرٌ من طرح أولئك يصُبُّ الزَّيتَ على النار، ويُفسِدُ ولا يُصلِح.

النكير على الجرأة في إصدار الفتاوى

كما يُنكَرُ على بعض طلبَة العلم الجُرأةُ على إصدار الفتاوى والآراء في شأنِ الأحداث الجارِية حولَنا: كإيجاب اللحاق بمن هناك، ودعم طائفةٍ مُقاتلةٍ دون طائفةٍ أُخرى، وتغليبِ فصيلٍ على فصيلٍ، حتى زادَ التشرذُم، واتَّسَع الشِّقاق، وخطفَت جهةٌ غيرُ صالحةٍ زِمامَ الأمر، وهذا الشأنُ من قضايا الأمة الكُبرى التي لا ينفرِدُ بها أفراد، وقد رأينا ورأيتُم نتاجَ ذلك مما يضُرُّ ولا يسُرُّ.

ولفتةٌ أخرى حول ما يتداولُ الناسُ في وسائل الاتصال، من مواد مرئيةٍ أو مسموعةٍ أو مقروءةٍ لغُلاةٍ وخوارِج، وأكثرُ قصدِهم من نشرِها التسليَةُ والفُضول، في حين أنها قد تقعُ في يدِ من ينجذِبُ إليها، ويُعجَبُ ويتأثَّر.. فيكون المُتسلِّي سببًا في نشر شرٍّ من حيث لا يعلَم، وقد قال الله ﷻ: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ٨٣].

بارَكَ الله لي ولكم في القرآن والسُّنَّة، ونفعنا بما فيهما من الآياتِ والحكمةِ، أقولُ قولي هذا، وأستغفِرُ الله تعالى لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملكُ الحقُّ المُبين، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه، صلَّى الله وسلَّم وبارَك عليه، وعلى آله وصحبِه أجمعين.

عباد الله: يا أيها المسلمون عامَّة! وخصوصًا من لهم جِوارٌ مع البلاد المُضطربة: كونوا على قدرٍ من الوعي والمسؤولية .. فإن الحالة التي تمُرُّ بها المنطقةُ العربية لا تتحمَّلُ تصدُّعًا في الصفِّ الداخليِّ .. في لحظةٍ تمُرُّ بها المنطقةُ بإرهاصاتٍ خطيرةٍ يُرادُ منها أن تتغيَّرَ حُدودُها وسياستُها، وتحالُفاتها، في توجيهٍ لمصيرٍ مُظلِم. فكُفُّوا عن التهييج والتأليب، واطَّرِحوا الإثارة، ولا تكُونوا كمن يُطِبُّ زُكامًا فيُحدِثُ جُذامًا!

الكف عن التهـييج والإثــارة

ونداءٌ لكل من ولَّاه الله أمرًا في بلادِ المُسلمين: إن الشياطين التي تبغِي خطفَ شُعوبِكم كُثُر .. وبالعدل تقطَعون الطريقَ على كل مُصطاد .. وبتأدِيةِ الحقوق يخنَسُ كلُّ مُتربِّصٍ .. وبإصلاحِ الفاسِد من الأحوال ينتهِي عُذرُ كلِّ ناعِقٍ.

ومن أخبار الخليفة العادِل عُمر بن عبد العزيز رحمه الله: أنه كتبَ إلى والِيه على خُراسان يقول: «أما بعد .. فقد بلغَني كتابُك، تذكُرُ أن أهلَ خُراسان قد ساءَت رعِيَّتُهم، وأنه لا يُصلِحُهم إلا السيفُ والسوطُ. فقد كذبتَ؛ بل يُصلِحُهم العدلُ والحقُّ، فابسُط ذلك فيهم .. والسلام»[1].

(١) ذكره السيوطي في تاريخ الخلفاء، ص(١٨١).

أيّها المؤمنون: ومن منبرَ الكعبة المُشرَّفة .. وفي جُمعةٍ من رمضان دعواتٌ وشُكرٌ لرجال أمنِنا الذين يُرابِطون في الثُّغور، وفي داخل البلاد، خصوصًا في هذا القَيظ وهم صائِمون .. جزاكم الله عن الصائمين والقائمين والمُعتمِرين خيرًا، وأثابَكم عن المُتهجِّدين والتالِين كتابَ الله والآمنِين خيرَ الجزاء.

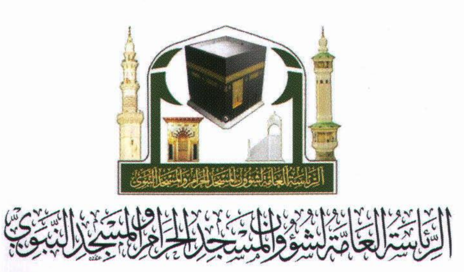
شكر رجال الأمن وبيان فضلهم

فعملُكم - إن شاء الله - مأجور، وسعيُكم مشكور، رحِمَ الله شُهداءَكم، وأخلَفَ عليهم في أهلِهم خيرًا، وجبرَ المُصابِين منكم، وثبّتكم على الحقّ والخير.

ولعلَّ اللهَ أن يُلحِقَكم ثوابَ كل من تعبَّد في هذا البلد، وكان الأمنُ سببًا لقيام هذه العبادة: من صلوات الجماعة في المساجد، والأسفار إلى الحرمَين الشريفين، وأداء مناسِك العُمرة والحجِّ.

وهذه الأيام تعُجُّ آلافُ المساجِد.. ومئاتُ الجمعيات والمؤسسات الخيرية، فضلًا عن ملايين المُحسنين والمُتصدِّقين، ومظهرُ الصيام والإيمان والتوحيد في كل رُبوعِنا.

وها هو المسجدُ الحرامُ يُضِيءُ بالطائِفين الآمِنين، والمُصلِّين المُتهجِّدين، في مشهَدٍ مَهيبٍ لا يتهيَّأُ في مكانٍ آخر من الأرض، مما لا يُمكِنُ أن يتمَّ ويكون لو لم تُؤمَن السُّبُل ويأمَن الناس .. وبالله ثم بكم كفاية.


الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي



مجموعة خطب لأئمة وخطباء المسجد الحرام


الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي